

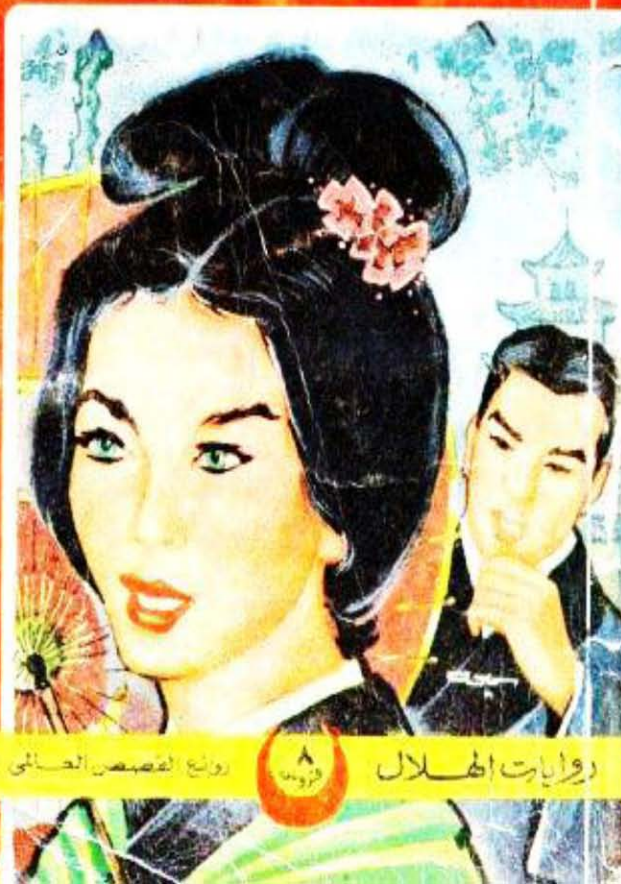
بيرون بك

غادة اليابان

Amly

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي



هذه الرواية

تقدم لنا الرواية العالمية « بيرون بك » في غادة الفضة السانقه صورا جديدة نابضة من مختلف صور الحياة في الصين واليابان . وليس هنالك من يفوق « بيرون بك » في الكتابة عن الصين واليابان .. هذه البلاد التي عاشت فيها معظم سنوات حياتها ، واحبها وكرست قلبها للكتابة عنها ..

وهي في هذه القصة ، تحدثنا عن حب شاب صينى لقناة يابانية حسنة ، وعن الصراع الذي خاضه الشاب لظفر بالقناة الحسنة ، من يدى جنرال يابانى عجوز واسمح انفراد كان مصرا على الزواج منها . ونبضى الكتابة لتصور لنا معنى الحب في قلب القناة اليابانية بالذات ، ومعنى الحياة الزوجية في نظرها ، وهل حقا ما يقال في انحاء العالم بان الزوجة اليابانية هي احسن زوجة في العالم ؟

ولعل اشد ما يحرك النفس ويشد السجى ، عند هذه الصور الجميلة للحياة في مدينة ناغازاكي فبل ان تقضى عليها تماما تلك القنبلة الذرية الائمة التي سقطت وصمة عار عاقلة بجنين الانسانية مدى الدهر .. لسوف نرى كيف كان سكان تلك المدينة الجميلة يعيشون آمنين كذحين في بيوت ابيقت تحيط بها الخنادق الزهرى ، والسباتين المثمرة ، وكف كانوا يجدون ولعبون ، ويستمتعون بأطيب الحياة!

المؤلفة

* بيرون بك كاتبة كبيرة امريكية المولد قضت معظم حياتها في الشرق الاقصى

* اول روايتها كتبتها هي رواية

« ربح الشرق » ثم كتبت « ربح الغرب » ثم « الارض القبية! »

.. وبعدها روايات اخرى كثيرة

* حائزة على جائزة بوليتزر ، ونوبل

* هذه الرواية « غادة اليابان »

تعتبر من احسن رواياتها التي كتبتها



رواية القصص العالمي



روايات الهلال

غادة اليابان

غادة اليابان



بنفس الرائدة العالمية

بيرك بلع



حقوق الطبع محفوظة لدار الهدى

مؤلفة الرواية

ولدت «بيرل سيدنستريكر بك» Pearl Sydenstricker Buck في بلدة (هيلز بورو) بولاية فرجينيا الغربية بأمريكا يوم ٢٦ يولية سنة ١٨٩٢ ، وقبل أن تتم السنة الأولى من حياتها سافرت الى الصين حيث كان أبوها يشتغل بالتبشير . ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها التحقت بمدرسة داخلية في شنغهاي . ثم عادت لأمريكا بعد سنتين والتحقّت بكلية « راندولف - ماكون »

ولما عادت الى الصين قضت سنوات في شمالها ، ثم انتقلت الى مدينة نانكين حيث عملت مدرسة للاداب الانجليزية بجامعة «يانج» ثم عملت في الجامعة الجنوبية الشرقية ، ثم في جامعة «شنج - يانج» وفي سنة ١٩٢٥ عادت الى أمريكا حيث حصلت على درجة الاستاذية من جامعة «كورنيل» وفازت بجائزة «لورا سنجر» للتاريخ عن موضوع «الصين والغرب»

وأول رواية أخرجتها هي «ريح الشرق» التي ألفتها خلال رحلتها الثانية لأمريكا . ثم أخرجت رواية «ريح الغرب» في سنة ١٩٣٠ . وفي السنة التالية أخرجت رواية «الارض الطيبة» فأعجب بها النقاد جميعا ، لدرجة أنها ظلت واحدا وعشرين شهرا في طليعة الكتب الشديدة الرواج

وظهرت لها بعد ذلك رواية «الإنساء» - وهي تنتمي لرواية «الارض الطيبة» - في سنة ١٩٣٢ . وقد وصفها وليم ايون فيلر بأنها من المؤلفات الممتازة في العصر الحديث . ثم ظهر الكتاب الأخير عن أسرة وانج في سنة ١٩٣٥ باسم «بيت منقسم على نفسه» . وصارت الروايات الثلاث تباع في مجلد واحد بعنوان «بيت الارض» وفي خلال ذلك ظهرت لها في سنة ١٩٣٤ رواية قائمة بداتها باسم «الأم» . كما نشرت لها قبل ذلك ترجمة لاشهر قصة صينية وهي قصة «شوى هوشان» وقد جعلت عنوانها بالانجليزية :

شخصيات الرواية

جنرال صيني عجز عاصر عهد الملكية الصينية	General Wu
ابن الجنرال واى ، ومدير بنك الصين	Mr. Wu
ابن المستر واو ، شاب جامعى مثقف	L-Wan
الابن الاكبر للمستر واو، شاب مدلل	I-Ko
فتاة حسنة تعيش جارية في قصر المستر واو	Peony
قائد يابانى خطر الشان	General Seki
شاب جامعى يتزعم جمعية ثورية سرية	En-Lan
شاب جامعى وعضو بالجمعية السرية	Ping-Liw
تاجر يابانى عجوز واسع الثراء	Mr. Muraki
ابن المستر موراكى الاصغر	Bunizi
الابن الاوسط للمستر موراكى	Akio
الابن الاكبر للمستر موراكى	Siow
الابنة الوحيدة للمستر موراكى	Tama
طيار امريكى شاب	Captain Maejork
زعيم الصين الوطنية	General Chiang Cai-Shek

الجنرال واى

المسترواى

اى - وان

اى - كو

بيونى

الجنرال سيكى

اين - لان

بنج - ليو

المسترموراكى

بونجى

اكيو

سيو

تاما

الكاتبين ماجورك الجنرال شيانج - كاي - تشيك

« كل الناس اخوة » . وفى سنة ١٩٣٦ نشرت لها روايتنا « المنفى »
و « الملك القاتل » وكانت ترجمة لحياة امها وابيها . وفى سنة ١٩٣٨
كتبت لأول مرة عن الحياة الامريكية فى رواية « القلب الفخور » ،
وكانت الحلقة الاولى لسلسلة روايات عن النساء الامريكيات

وقد منحتها جامعة « ييل » فى سنة ١٩٣٣ درجة الاستاذية
الفخرية فى الاداب . وفى السنة التالية انتقلت الى امريكا حيث
اقامت بها ومنحت ميدالية هويلز سنة ١٩٣٥ ، واختيرت عضوا فى
المعهد الوطنى للفنون والاداب سنة ١٩٣٦ . ثم منحتها الاكاديمية
السويدية جائزة نوبل للاداب سنة ١٩٣٨ « لوصفها الدقيق للحياة
الصينية الريفية » . كما منحت درجة الدكتوراه الفخرية فى الاداب
من جامعة فرجينيا وجامعة سانت لورنس

وفى سنة ١٩٣٩ نشرت لها رواية « الوطنى » . واعتبتها فى سنة
١٩٤٠ روايتها الثانية عن الحياة الامريكية واسمها « آلهة آخرون »
ثم اثرت فيها الحرب فنشرت فى سنة ١٩٤٢ رواية عن احوالها باسم
« بذرة الفول » . واخرجت تكلمة لها فى سنة ١٩٤٣ باسم « الوعد »

ومنذ سنوات صدرت لها رواية « رجال الله » وهى تمثل مشكلة
العصر الحاضر ، وهى الصراع المستمر بين الایمان والقوة . . وقد
ألفت يول بك كثيرا من المحاضرات ، طبع بعضها فى ثلاثة مجلدات ،
كما طبع بعد ذلك مجلدان شملتا قصصا صغيرة كتبتهما . واربعة
كتب الفتها خصيصا للاطفال . وقد أسست « جمعية الشرق
والغرب » وتولى رياستها ، وغايتها التقريب بين الشرقين
والغربيين



.. ولكنه كان ، كما يقال ، حجر الزاوية في حياته كلها ، فينما كان ذات يوم يقرأ كتابا في فناء المدرسة ، اذا يرجال الشرطة يقتحمون المدرسة ، ويقبضون على بعض الطلبة ، ومن بينهم « آى - وان » حين ضبط منلبسا بقرأة ذلك الكتاب الذى كان عن حياة كارل ماركس

ولكن بمجرد ان عرف مدير السجن في مساء اليوم نفسه ان « آى - وان » هو ابن المستر « واو » صاحب بنك الصين الكبير ، يادر الى الاعتذار اليه ، وكاد ان يقبل يديه حتى لا يذكر هذا « الخطأ » غير المقصود لايه ، ووعده « آى - وان » بذلك ، بشرط ان يفرج عن شاب كان معه فى نفس الزنزاة ، وكان يبدو من ملبسه انه طالب بالجامعة

وبعد تردد طويل ، وافق مدير السجن على اطلاق سراح ذلك الطالب الجامعى الذى كان يدعى « اين - لان » وخرج الشبان الى الطريق حيث اشار « آى - وان » الى احدى المركبات .. ولما استقلها ، قال « اين - لان » :

— لماذا اصرت على طلب الإفراج عنى ؟

— لاني رأيتك تختلف عن الآخرين ، وملابسك تنم على أنك طالب بالجامعة ..

— أجل .. شكرا ..

— كم مضى عليك في السجن ؟

— أكثر من سبعين يوما ..

— لماذا ؟

— ربما اخبرتك ذات يوم .. الى اين الان ؟

— الى قصر ابي ..

فلوى « اين - لان » شفثيه ، وقال :

— لا استطيع ان اذهب معك

— لماذا ؟ ..

— لاني ثورى حقا ..

ونظر « آى - وان » الى الشاب الذى كان يتسم بطريقة غامضة ، ثم قال :

في القصر الكبير

عندما فتح « آى - وان » عينيه على الحياة ، وجد نفسه يد مع شقيقه الاكبر الوحيد « آى - كو » في قصر منيف على الال اوروبى بالحى الافرنچى في شنغهاي . وفي ذلك القصر الك المحاط بالحدايق الفناء ، والجداول الرقاقة ، والبرك الصناء والجلاليات الانيقة . في ذلك القصر الكبير الذى تحيط به وبجدهنه هذه الاسوار العالية المنيعه ، نشأ « آى - وان » مع اخيه الاكبر هذا الوحيد « آى - كو » مع والديهما ، وجديهما لوالدهما ، وبين حشد من الخدم والعبيد والجوارى

وكان والده المستر « واو » من اغنياء مدينة شنغهاي ، وواحد من اكبر رجال المال والاعمال فيها .. اذ ان فروغ بنكه الكبير ، الذى ورثه عن ابيه العجوز الجنرال واى ، كانت تمتد في معظم البلاد الصينية ، كما كانت ثورته الطائلة تتغلغل في معظم الصناعات القائمة في ذلك الحين ، اى في العام الخامس عشر من قيام اول جمهورية صينية بزعامه « صن - يات - صن » بعد سقوط امبراطورية مانشو . وفي هذا العام كان يظننا الشاب « آى - وان » قد بلغ العشرين من عمره ، بينما كان اخوه « آى - كو » قد بلغ الثامنة والعشرين . ولم يكن ثمة ما يزعج الاخوين في الحياة الا اختلاف طبائعهما اختلافا باعد بينهما ، حتى اصبح كل منهما يكاد يعيش في عزلة عن الاخر رغم اقامتهما الدائمة في قصر الاسرة !

كان « آى - وان » منذ طفولته وادما ، متزنا ، سمح الوجه ، راضى النفس ، مطيعا لوالديه وجديبه .. بينما كان اخوه مدلا ، عنيفا ، لا يرضيه شىء ، ولا يرضى عن شىء !

الا ان حياة « آى - وان » كانت تطوى على حادث وقع عرضا

ولم يكن أحداً من أهله يعرف شيئاً عن نشاطه الثوري هذا ، ومن ثم كان يعيش حياتين : حياة الطالب الثوري في الجامعة . . الطالب الذي يحلم بقيام جمهورية جديدة بدلاً من جمهورية « صن - بات - صن » والذي يتمني أن يرى زعيم الثورة الجديد « شيانج - كاي - تشيك » في منصب الحكم ، ثم حياة ابن مليونير في قصر فاخر تحيط به الحدائق الغناء والاسوار العالية !

وفي ذات يوم ، عرج - أثناء عودته من الجامعة الى قصر أبيه - على متجر للحلوى بالقرب من القصر ليتناول شيئاً منه . وفيما هو يفادره ، سمع شخصاً يسأله باسمه ، فالتفت ليرى زميله « بنج - ليو » وكان زميلاً في الجمعية الثورية ، ولكن لم تكن له أهمية خاصة . . وكان ابن تاجر صغير فقير بالمدينة ، تم ملاحظته ملامح بنج - ليو - عن الدناءة والحيت والحقد الطبيعي ، كما كانت الرائحة الكريهة تفوح من فمه المفتوح دائماً . ولم يكن ثمة أحد في محيط الجامعة ، أو بين أعضاء الجمعية السرية ، يعيل الى هذا الشاب أو يحب مصاحبته

ولم يسع « آي - وان » إلا أن يعرض الى زميله هذا مرغماً ، وأن يبتسم له ويتبادل معه الحديث . . ولكنه كان في الوقت نفسه يكره أن يعرف هذا الزميل الثوري أنه - آي - وان - يعيش في ذلك القصر الفاخر القريب . ولكن « بنج - ليو » سار بجانبه حتى وصلا الى بوابة القصر ، وهناك فتح عينيه في دهشة وقال ل « آي - وان » :

هل هذا قصر أبيك ؟

فأوماً « آي - وان » براسه ، ثم اختلس نظرات سريعة الى نوافذ القصر ، وهو يخشى أن يراه أحد واقفاً مع ذلك الشاب الذي تنم ملابسه الرثة عن الفقر المدقع . . وتنهذ أخيراً حين لم يجد احداً مطلقاً من نوافذ القصر ، ثم قال ل « بنج - ليو » بسرعة :

أرجو أن نلتقي غداً . .

ولكن « بنج - ليو » تلكا ، وقال وهو يتطلع الى جوانب القصر :
- انه قصر رائع يا « آي - وان »
- أجل . . ولكنني لم أشيده بنفسى . لقد نشأت فوجدت أبى

- هل تعرف اننى كنت اتمنى ان اعترف على ثورى حقيقى ؟
- ان امثالى كثيرون في الجامعة . .

وقبل ان يرد « آي - وان » وثب الشاب من المركبة ، واختلط بالمارة في الشارع . . ولكنه حرص ، قبل ان يختفى ، على ان يلتفت الى « آي - وان » وبتبسم له ، ويرفع يده اليه محبباً . .

وعاد « آي - وان » الى قصر والده ، وفتح باب الحديقة الصغير بمفتاحه الخاص ، ودخل الى غرفته دون ان يشعر به أحد ، لانه تعود ان يعود في ساعة متأخرة كل ليلة دون ان يسأله أحد اين كان ، او لماذا عاد متأخراً ، وبعد ان ارتدى ملابسه في الصباح ، اقبلت الفتاة الحسناء « يوني » - وكانت جارياً اشتراها والداه منذ طفولتها - تحمل ادوات الشاي وطعام الافطار . ولما رآته قد استكمل ارتداء ملابسه ، قالت له معتذرة :

- يبدو انى تاخرت عليك هذا الصباح . .

- لا يهم . . لاني ان اذهب الى المدرسة

فوضعت صحيفة الشاي الفضية ، ونظرت اليه في دهشة ، وقالت :
- لماذا ؟ . .

- لاني سالتحق بالجامعة . .

- الجامعة ؟ انها لابناء العامة . . وانت من الطبقة الخاصة ، فهل تظن ان اباك وجدك سيوافقان على هذا ؟

- اذا لم يوافقا فسوف اضرب عن الطعام ، كما يفعل اخى « آي - كو » حتى ينال ما يريد . . !

فالتعمت في عيني « يوني » نظرة مائكة ، وقالت :

- وطبعاً سوف احمل اليك الطعام سرا أثناء الاضراب !!
- أيتها الخبيثة !!

وظهر « آي - وان » بما اراد . . واضطر والداه الى الموافقة على الحاقه بالجامعة الاهلية ، ولكنهما حرصا في الوقت نفسه على ان تكون ملابسه الجامعية من افخر الانواع . .

ومرت سنتان ، واقبل العام الخامس عشر من قيام الجمهورية الصينية ، واصبح « آي - وان » عضواً في احدى الجمعيات الثورية الكثيرة التي كانت منتشرة في جميع انحاء البلاد يومذاك .

قد شيده على هذا الطراز الاوروبي . وبطبيعة الحال ، لم يكن في وسعي الا ان اعيش فيه
وأردف بسرعة قائلا :
- طاب مساؤك يا « بنج - ليو »
- طاب مساؤك ..

وانطلق « آى - وان » مسرعا الى داخل القصر ، وعرج أولا -
كالمعتاد - على غرفة جدته المعجوز التي كانت تنتظر عودته من
الجامعة ، في منزل هذا الوقت من كل يوم ، لكي تحببه وتقبله
وتطمئن عليه .. ثم مضى بعد ذلك الى غرفة جده الجنرال واى
المعجوز ، الذى تلقى علومه العسكرية فى ألمانيا أيام شبابه ، وأن
كان لم يشترك طيلة حياته فى معركة حربية واحدة . وبعد أن
انصت بضع دقائق الى « ذكريات جده منذ خمسين عاما » عاد
مسرعا الى غرفته .. وما كاد يخلع ملابسه الجامعية ، ويرتدى
ملابس البيت الحربية الفضفاضة الموشاة بالذهب والفضة ، حتى
أقبلت عليه بيونى بوجهها الجميل ، وأبتسامها المذبة ، ورائحة
الياسمين المتبعنة منها دائما ، وقالت له وهى تتسرع الى الزهور
التي جمعتها فى مزهرة فضية بالقرب من النافذة :

- هل أعجبك هذه الباقة يا « آى - وان » ؟

وكانت تناديه باسمه مجردا ، لأنها نشأت معه منذ الطفولة ،
واصبحت اقرب الى اخته له ، منها الى جارية ..

ونظر الى الزهور فى شيء من الاستمزاز الخفى ، وتنهى قائلا :
- انها جميلة ، ولكن رائحتها نفاذة .. ان هذا القصر مليء
بالروائح والعطور على مختلف انواعها .. انه قصر عجيب ..
مزجج ..

فابتسمت بيونى وقالت :

- المشكلة ان لك انفا شديد الحساسية للروائح العظرية ..
حسنا ، ان والديك فى انتظارك

وقال فى نفسه : حسنا .. لم يبق غير الجلوس مع والديين
لحظات - ثم تصيبح حرا تماما حتى صباح اليوم التالى ..
ومضى الى والديه اللذين كانا يجلسان - كالمعتاد دائما فى مثل

هذا الوقت من الاصيل - فى تلك القاعة الفاخرة الرجبية التي ينم
لل شيء فيها عن البذخ وحياسة الترف . وكانت امه جالسة الى
النافذة - كالمعتاد - تعمل فى قطعة تطريز ، وكان ابوه جالسا الى
مكتبه الضخم ، وهو لا يزال مرتديا ملابسه الاقرنجية التي يرتديها
عادة اثناء عمله فى البنك
قال له الوالد :

- هل مررت على جديك ؟ لقد وصلت الان فقط من البنك ،
ويجب ان اغير ملابسى حالا ..

ولكنه لم يتحرك من مكانه .. وعاد يقول :

- هل عاد اخوك من الخارج ؟

- لا يا ابي ..

ورفعت المسز واوعينها الى ابنها ، وقالت باللغة الانجليزية :

- انك تبدو مرهقا يا « آى - وان »

وكانت المسز واو تقن الحديث باللغتين الانجليزية والفرنسية ،
وكان يحلو لها ان تتحدث باللغة الانجليزية مع ابنها وزوجها بين
الحين والآخر . وكان « آى - وان » يبتهج لهذا ، حتى يتخلص
من الحواشى الكثيرة التي تزخر بها اللغة الصينية
وعادت الام تقول :

- يبدو انك تأخرت اليوم كثيرا فى المدرسة ..

- كان لدينا اجتماع بعد الانتهاء من الدراسة ..

فقال والده باللغة الصينية :

- وما نوع هذه الاجتماعات ؟

فرد « آى - وان » قائلا :

- اجتماعات سياسية ..

- حسنا ! كلما اريدك منك ألا تقم فى شبكة احدى هذه الجمعيات
السرية التي يهوى الطلبة تكوينها .. ان الطلبة لا يستطيعون
اطلافا تغيير الحكام . ولكن فى استطاعة الحكام اعدام الطلبة ..!

وصاحت الام :

- « آى - وان » .. عدنى ..

واستطرد الوالد فى حديثه ، دون أن يعير زوجته اهتماما :

— ان الحكومة — اية حكومة — لا تقبل أن يسيطر عليها جماعة من الطلبة والطالبات .. هذا عدا انكم ، في مثل هذه السن ، لا تعرفون الكثير عن حقائق الحياة الاجتماعية والسياسية الدولية في بلادكم .. ان كل شاب منكم نائر ساخط محب للانتقاد .. ولكن من منكم يعرف الحقائق عن شؤون التجارة ، والمال ، والقروض الأجنبية و .. ؟

وهنا انفجر « آى — وان » قائلاً :

— ولماذا نحتاج الى قروض اجنبية !؟

وكان « آى — وان » متأثراً بسخط زميله « اين — لان » على النجاء حكومة « صن — يات — صن » الى القروض الأجنبية .. بل ان « اين — لان » عرض في أحد الاجتماعات السرية أن يضحى بحياته ليقتل أى وزير يوقع على قرض اجنبى . وكانت تلك أول مرة يعرض فيها أحد أعضاء الجمعية مثل هذا العرض في سبيل اهدافها ..

وأجاب الوالد على ابنه قائلاً :

— ان كل دولة في العالم تحتاج الى قروض اجنبية لتنفيذ مشروعاتها الاصلاحية الكبيرة ..

وكان المستر واو رجلا في نحو الخمسين من عمره ، كبير الجسم ، مهيب المنظر ، مثقفاً .. يعيل الى تحالف دائم بين الصين واليابان ، منذ أن سمع مندوب اليابان يصيح في محفل دولى بأن « آسيا يجب ان تكون للاسيويين »

وعاد الوالد يقول في اسفاق وفهم :

— انك يا « آى — وان » تعرف كل الحقائق ، لانك تعر بهذه المرحلة الخيالية من العمر الذى يريد فيه الشاب ان يرى كل شيء حوله مثالياً . لقد كنت مثلك فى شبابه ، عضواً فى جمعية سرية .. وكل شاب لابد ان يمر بمرحلة كهذه ، ولكن حقائق الحياة لا تلبث ان تهبط به من سماء الخيال الى أرض الواقع ..

وغمضت الام قائلة :

— ان « آى — سكو » لا يمكن ان يكون على هذا النحو ..

فقال الوالد فى حدة :

— ان « آى — وان » أكثر شبيهاً بى من « آى — كو »

وبعد برهة صمت قال « آى — وان » :

— هل تسمح لى يا أبى بالانصراف ؟

— بعد لحظة ..

وكان « آى — وان » يعلم أن أباه يحب — بين الحين والآخر — ان يبرز تفوقه ، ويكتشف عن سيطرته على جميع الذين فى البيت بهذه الطريقة . ومن ثم ، قرأ ان يبقى حتى يأذن له بالانصراف ..

وقال الوالد بعد فترة من السكون :

— اننى ، ووالدتك ، تفكر فى مستقبلك بعد أن بلغت هذه المرحلة من العمر ، وقد تحدثنا طويلاً فى هذا الشأن .. وقررنا ان نترك لك ولاخيك « آى — كو » حرية اختيار الزوجة التى يريدعا كل منكما ..

فغمغم « آى — وان » قائلاً :

— شكراً جزيلاً ..

وكان « آى — وان » قد سبق ان عرف هذه الحقيقة من اخيه « آى — كو » وكان اخوه يفتح قلبه لكل فتاة جميلة ، بحيث اصبح لا يدرى اية واحدة من صديقاته الكثيرات يتزوج !

وشعر « آى — وان » بالجميل لوالديه ، لانه كان يعرف ان كثيراً من زملائه فى الجامعة سوف يتزوجون ، رغماً عنهم ، من فتيات اخترهن لهم اهلهم . وكان هذا من المساوىء التى يريد الثوريون الجدد ان يقضوا عليها ، وان يتقرر حق كل انسان فى الزواج بمن يشاء

وان « آى — وان » ليذكر ما حدث فى أحد الاجتماعات ، عندما نهضت فتاة من أعضاء الجمعية ، وطالبت بحماس شديد أن يكون للمرأة حق اختيار شريك حياتها ، أو حقها فى عدم الزواج اطلاقاً اذا شاءت . وقد شعر « آى — وان » بالقلق عندئذ ، وهو يفكر فى حرج موقفه عندما يتقدم للزواج من فتاة معينة فينتلق منها الرفض ..

ولما رأى « اين — لان » هذا القلق بادياً على وجهه بعد الاجتماع ، قال له باسمًا :

— والى أين سوف تذهب بعد انصرافك من هنا ؟
— الى غرفتي لاستذكر دروسى ..

□

وغادر الغرفة ، وأطلق الباب وراءه ..
وكان يعلم انه سوف يلتقى بأفراد الاسرة كلها بعد ساعتين ،
عندما يهبطون الى قاعة الطعام الكبرى لتناول العشاء ، وتحلب
لحباب « آى- وان » وهو يذكر أطيب الطعام الشهى الذى لو رآه
« ابن - لان » لظن انه أمام وليمة فاخرة ، بينما هو فى الواقع
الطعام اليومي العادى فى القصر ..

وعاد الى غرفته ليكتب موضوعا انشائيا باللغة الانجليزية ،
وكان قد اعتزم أن يبرز بهذا الموضوع براعة « ابن - لان » فى اللغة
الانجليزية ، ولم يكن يريد أن يتفوق عليه رغبة فى التفوق .. وإنما
لكى يبين « لابن - لان » انه شاب كفء ، لا يقل عنه براعة وذكاء

صغير

— لا عليك يا صديقى مما سمعت .. ان هذه الفتاة ذات الصوت
المرتفع والحماس الشديد عشقتى ..
— عشقتك ؟ ..

فمد « ابن - لان » يده فى جيبيه ، ثم تناول خطابا وقدمه الى
« آى - وان » قائلا :

— هذه رسالة منها .. لقد اعربت فيها - كما ترى - عن
رغبتها فى أن تكون عشيقه لى ..
— ولماذا لا تنزوجه ؟ ..

— لان والدى قد اختارا لى زوجة فى قريتى .. وهذا ما يجعلنى
أكره العودة الى القرية بعد انتهاء العام الدراسى !
— زوجة لك ؟ ..

وهكذا كان « آى - وان » يتلقى المفاجأة بعد الاخرى من صديقه
وزميله « ابن - لان » الذى انقذه من السجن ذات يوم ..

وأفاق من تفكيره على صوت والده ، وهو يقول مستطردا :
— ولكن قد آن لك أن تحدد المهنة التى ستستخدمها .. هل تحب
أن تعمل - مثل اخيك - معى فى البنك ؟

ولم يجب « آى - وان » على الفور .. وإنما راح يذكر ما قاله له
« ابن - لان » ذات يوم بعد أحد الاجتماعات السرية :

— اننى أحمد الله لان أبى مزارع فقير فى قرية بأقصى الجنوب ،
على حدود صحراء جوبا ، حيث لا يجد معظم الاهالى ما يقيم
أودهم ، ولو كان أبى رجلا رأسماليا فى هذه الفترة التى نمر بها ،
لتبرأت منه .. !

وقال « آى - وان » لنفسه : « اذا كان هذا رأى « ابن - لان »
وهو بمثابة زعيم جمعيتنا ، فكيف أقبل العمل مع أبى فى البنك ؟ »
ولما طال به الصمت ، قال له الوالد بحنان :

— اتنى لن اتعجلك أو أرغمك على شئ .. فانت ابنى ، وعندما
يستقر رأيك على شئ معين ، تعال واخبرنى ..

فمغمم « آى - وان » قائلا :

— شكرا يا أبى ..

وقالت له أمه :

أشجان قلب

ظل « آى - وان » بعد ان فرغ من العشاء الشهى ، يعمل في موضوع الإنشاء الانجليزى حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكان قد اختار لموضوعه حياة « صن - بات - صن » وبعد ان فرغ منه ، راح يعيد قراءته للمرة الثالثة ، وقد شعر بالرضا التام ، وكانت بيونى فى اللحظات الاخيرة ، قد فرغت بدورها من اعداد فرائسه الحربرى الوثير للنوم ، ثم وقت بجانبه وقد وضعت يدها الممطرة بشذى الياسمين على كتفه ، وخدها على شعره ، وتذكرها فجأة ، وهى واقفة بجانب ازهار الزنبق ، بعد ظهر اليوم نفسه .. وأحس بشيء ما يسطرغ فى اعماق نفسه ، ولكنه زم شفنيه ، ومال بعيدا عنها بعض الشيء ، وهو يغمغم قائلا فى ضيق :

— الى متى تستعملين هذا العطر القوى المرعج ؟
فالتت بدلال :

— الى الايد ، لانى احبه .. ولكن ، لا ينبغى ان تستمر فى الاستدكار ، اتنا الآن فى ساعة متأخرة من الليل .. وقد آن لك ان تنام

— لا تتدخلى فيما لا يعينك من اعمالى ..

فردت عليه قائلة ، وهى تداعب خده بأصابعها الناعمة :

— اذا كنت لم تفرغ بعد من اعمالك ، فانت اذن غيبى !!

ثم اردفت ، وهى تمسح على شعره برفق :

— وانا اعلم انك لست كذلك

وأحس بقلبه يخفق فجأة ، مرة .. ثم مرتين ، وخامره شمعور بالاضطراب ، لقد نشأ معها فى القصر يلعبان .. وكان يعرف - وهى

تعرف ايضا - انها جارية مشتراة ، ولكن جميع من فى القصر ، كانوا يحبونها ويعاملونها كواحدة من افراد الاسرة ، لاسيما بعد ان توفيت الاخوت الوحيدة للشقيقين ، والواقع انه كان بين « آى - وان » وبيونى احساس اخوى مشترك على مر السنين ، ولكن « آى - وان » بدا يشعر - بعد ان تجاوز سن المراهقة - باحساس آخر مختلف نحوها ، لقد أخذ يحس نحوها بشيء ، كان يثير فى اعماق نفسه شيئا يرضيه ويزعجه وينفره فى وقت واحد ، وكان هذا الاحساس يشتد ويعنف عندما تضع راسها على شعره ، ويدها على خده .. ولشد ما كان يخشى ان يمد ذراعه ذات ليلة ويطوقها ، ثم يضغط على شفيتها المتوردتين الناعمتين بشفتيه فى قبلة ، تغيبهما معا عن الوجود ..

انه لا يريد ان يفعل هذا ، ولم يفعله يوما .. ولكنه يفكر فى هذا دائما ، ويشعر بالخجل من مجرد التفكير ، كان يرى ان كل مشاعره ، وخلجات قلبه ، ينبغى ان تتركز فى هدفه الاساسى لاصلاح شئون وطنه ، وان أى انحراف عن هذا الهدف - ولو بالشعور فقط - يعتبر خيانة للوطن ، وكان واثقا تماما انه لو لم يكن عضوا فى تلك الجمعية السرية ، لارضى شعوره ذلك نحو بيونى ..

ولكنه - فى الوقت نفسه - لم يكن يريد ان يكون مثل اخيه « آى - كو » ، لقد اعتاد « آى - كو » ان يعايب بيونى وأن يلف ذراعه حول خصرها ، وكانت هى تتخلص منه ، كلما فعل هذا .. برفق حيناً ، ويعنف احيانا ..! وقد حدث ذات مرة انها لم تستطع ان تتخلص منه الا بعد ان ادمت خديه باظافرها الطويلة المدببة ، مما اضطر « آى - كو » الى الانزواء فى البيت لبعة ايام حتى التامت جراحه . ذلك انه كان يخشى ان يخرج الى اصدقائه ، ويصبح موضع سخريتهم ، حين يرون آثار الخدوش على وجهه .. وهى آثار تتم عادة عن السبب الحقيقى لها ، وقد اتار ذلك الحادث بعض الاضطراب فى جو القصر ، وتحدثت المسز واى على انفراد مع بيونى ، وتحدث الجنرال العجوز مع « آى - كو » ، وجاءت بيونى اخيرا الى غرفة « آى - وان » حيث بكت كثيرا ، ولما سألها عن سر موقفها هذا العجيب من اخيه ، قالت :

– اننى أكره « آى – كو » ! لقد كان دائما شريرا قاسيا ..
ولم يسألها « آى – وان » كيف كان اخوه شريرا وقاسيا معها ؛
لانه لم يكن يريد ان يعرف .. وانما شعر بالحرارة تسرى في دماغه
بومذاك ، وهو يقول لها :

– اننى لن اكون فى يوم ما شريرا او قاسيا معك يا بيونى ..
وقد بكت عندئذ قليلا ، ثم رفعت عينيها اليه ، وأجابت قائلة :
– انك لا تستطيع ان تكون شريرا يا « آى – وان » حتى لو
حاولت !

فأحس بالخجل .. وتراجع عنها قليلا ، مما جعلها تهمهم قائلة :
– انك لم تعد تحبنى بعد ان كبرت يا « آى – وان »
فقال بلهجة حاسمة :

– لا .. ان شعورى نحوك لم يتغير يا بيونى
فقالت هامسة :

– ما أشد احساسى بالوحدة !

فطوى كراسية الانشاء بعنف ، ونهض قائلا :

– انصرفى يا بيونى .. اننى لم اعد فى حاجة اليك بعد ان فرغت
من اعداد الفراش .. !

وكان المعتاد ان تساعده فى خلع ملابسه الخارجية وارتداء ملابس
النوم ، ثم اسدال الستائر على النوافذ بعد احكام غلقها ، ولكن
خوفه منها – او من شعوره الجديد الغريب نحوها – جعله فى الاشهر
الآخيرة يصر على ان تترك النوافذ مفتوحة ، صيفا وشتاء .. فاذا
ابت ان تنفذ رغبته ، نهض بعد انصرافها وفتح النوافذ بنفسه !
ولشد ما كان يعجب حين يراها لا تعضب من معاملته الا على هذا

التحو .. بل كان يرى العبث البرىء يطل من عينيها وسى تبتسم ،
كلما اسرف هو فى التظاهر بالنفور منها ..

وفى هذه الليلة ، قالت له ونظرها العابثة تبتسم فى وجهه
المتجهم :

– لقد أصبحت كبيرا .. أصبحت الآن رجلا ، ولهذا لم تعد
تريدنى هنا يا « آى – وان » .. ! أصبحت رجلا كبيرا مهيبا !!
فانقض عليها ودفع بها نحو الباب ، بينما تشبثت هى بيده

وضحكاتنا الناعمة تصافح اذنيه كنغمات موسيقية مثيرة ..
واستطاع اخيرا ان يدفعها خارج الباب رغم انها حاولت التشبث
بديه ..

وبعد ان اغلق الباب ، وأدار المفتاح فى القفل من الداخل ، وقف
وراءه يرهف السمع ، ولما لم يسمع شيئا ، ادار المفتاح فى القفل
وفتح الباب واطل براسه منه ، آه .. انها واقفة وراءه تضحك !
وانسحب بسرعة واغلق الباب ، ووقف فى سكون برهة ، انه لن يفتحه
لها .. انها تريد هذا ، ولكنه لن يفعل ، ومضى الى النافذة ، وفتح
مصراعها بقوة .. انها اذا كانت وراء الباب حتى الآن ، فسوف
تعلم انه فتح النافذة ، وانه سيأوى الى فراشه ، واحس بالرغبة فى
العودة الى الباب ليرى اذا كانت واقفة ام لا ، ولكنه لو كانت
واقفة ، فسوف تدخل هذه المرة رغما عنه .. !

وماذا بعد ؟ ..

لا .. انه كرس حياته لوطنه .. ثم انه لا يريد ان يكون مثل
« آى – كو » !

واسدل الستائر ، ووثب الى فراشه ، وسحب الاغطية الحيرية
عليه ، واستغرق فى النوم



كانت الجمعية السرية بالجامعة ، تعقد جلساتها فى فصل اللغة
الانجليزية فى الاوقات التى لا يكون فيها طلبية الفصل مجتمعين
للدراسة ، وكان فصل اللغة الانجليزية يقع فى مبنى صغير منعزل عن
بقية مباني الكليات الأخرى ، وكان الاعضاء يكلفون زميلهم « بنج –
ليو » بالوقوف عند باب المبنى للحراسة والمراقبة ، فاذا شاهد
أحدا مقبلا ، هتف بكلمة معينة يسمعون الجميع .. فينتفروا توا
مسرعين الى اماكنهم المعتادة ، وكان الاختيار قد وقع على « بنج –
ليو » للمراقبة ، لان وجهه الدميم كان ينم عن البلاهة الظاهرية
التى تظف عقلية ماكرة !

وكان الاعضاء قد اطلقوا على جمعيتهم اسم « جمعية الوطنيين
الاحرار » وذلك لان الحكومة كانت تعمد كل من ينضم الى جمعية
ذات مبادئ شيوعية ، ولكن لم يكن فى وسعها ان تعمد أعضاء جمعية

تسمى « جمعية الوطنيين الأحرار » . وقد قال « ابن - لان » ذات يوم « لآى - وان » ، وهو يرسم على وجهه ابتسامة عريضة :
- انهم لا يجربون على اعدام الوطنيين ولكن عندما يحين الوقت المناسب سوف نجربو نحن على اعدام خصومتنا جميعا !

وفي مكان الاجتماع ، كان « آى - وان » يعرف جميع اعضاء الجمعية الثلاثة والعشرين الذين كان بينهم تسع فتيات .. كان يعرفهم بوجوههم واسمائهم فقط . أما عن ظروف حياة كل منهم - فكان لا يكاد يعرف شيئا فيما عدا « ابن - لان » ، و« بنج - ليو » .. لم يكن يعرف ان كان الباقون من اسرات غنية او فقيرة ، من طبقة خاصة او عامة . وكان عدد الاعضاء ، عندما انضم « آى - وان » للجمعية ، لا يزيد عن احد عشر عضوا ، وظل هذا العدد يزداد على مر السهور ، كلما انضم عضو جديد يزيكه عضو قديم ، وكان « ابن - لان » هو الذى زكاه عند انضمامه الى الجمعية

وكان قد التقى ب « ابن - لان » عند التحاقه بالجامعة مباشرة ، وحدته « ابن - لان » عن الجمعية ، واعرب عن استعداده لتزكيته للانضمام اليها اذا شاء ، وقد قال له « آى - وان » عندئذ :
- كيف تزكىنى وانت لا تكاد تعرف عنى الا اننى ابن واحد من اكبر الابرءاء في المدينة ؟

وعندئذ اجاب « ابن - لان » قائلا :

- اننى اعرفك ، واعرف ماذا فعلت من اجلى حين اخرجتنى من السجن

- الا يعلمك ابن من انا ؟

- وماذا يهمنى من امر ابيك ، ما دمت اعرف انك انسان يمكن الاعتماد عليه في الخطير من الامور ؟

وحرس « آى - وان » بعد انضمامه للجمعية على ان يبدو مشعث الشعر ، بالى الشياب .. وكان يبتهج حين يرى مرقا في ثوبه ، او زوا ناقصا ، بل لقد اسرف في هذا وخصص حلة قديمة بالية للذهاب الى الجامعة بها . وكان يخلعها بمجرد عودته ، ويرتدى غيرها قبل ان يقوم بجولته التقليدية على افراد الاسرة الكبار !
وقد سال « ابن - لان » ذات يوم قائلا :

- انك لم تخبرنى بالسبب الذى دفع بك الى السجن يا « ابن - لان » ؟ ..

وصمت « ابن - لان » برهة ، ثم قال :

- سوف اكتب لك الاسباب في مجموعة من الصفحات ..

وكان المعروف عن « ابن - لان » انه اقدر في التعبير عن ذات نفسه بالسكينة منه بالحديث ، وهكذا عاد بعد ايام قليلة بمجموعة من الاوراق المكتوبة التى دفع بها الى « آى - وان » قائلا :

- اقرأ هذه .. ثم احرقها !

وفي تلك الليلة ، انفرد « آى - وان » في غرفته ، وراح يقرأ الصفحات الكثيرة التى افرغ فيها « ابن - لان » كل خلجة من خلجات نفسه ..

كانت الكلمات تنبض امام عينى « آى - وان » بالصدق والصرامة والاخلاص ، وكان قلبه ينتفض بالانفعال ، وهو يقرأ عن كيف عاش « ابن - لان » طفولته البائسة في قرية نائية على حدود صحراء وتلال جوبا في جنوبى الصين ، وكيف كان اهل القرية البؤساء يتوعون تحت عيب الفقر والقراب والظلم الاجتماعى ، وكيف كانت المجاعات تعصف بهم فيضطرون الى اكل اوراق الشجر والحشرات والحجوانات ، وكيف قرر ابواه ان يعثا به الى شنفهاى ليتم تعليمه العالى ، ثم يعود الى القرية رجلا عظيما .. وكيف تعهد سكان القرية جميعهم على ان يعاونوا ابويه لتحقيق هذا الامل الكبير ، على اعتبار انه اول فرد في القرية يتم تعليمه العالى ، وكيف سافر الى شنفهاى والتحق بعمل شاق مرهق لكي يقيم اوده ويدفع نفقات التعليم ، وكيف تفوق على اقرانه في الكتابة باللغة الانجليزية ، مما جعل المس متلاند - استاذة اللغة الانجليزية - ترعاه وتعهده ، ثم تطلب منه ان يكتب مقالا يدخل به مسابقة الشياب الجامعى ، وكيف كتب المقال بعصارة دمه ومشاعره ، فذكر فيه آماله وطنى ، والامه وهو يرى بلاده تنوء تحت نير الفقر والظلم الاجتماعى ، وكيف ان الحكومة غضبت عليه حين نشر المقال في الصحيفة الانجليزية بشنفهاى - بعد ان نال الجائزة الاولى - وكيف اعتبرت الحكومة ان المقال عرض الشعب الصينى لسخرية الاجانب ، فقبض عليه في الجامعة ، وادع السجن

حيث ظل ثلاثة وسبعين يوما ، وهو يتوقع الإعدام في كل يوم ، ولكن زنازة السجن كانت تمتلئ في الليل ، ثم تخلو في الصباح ، دون ان يأتي عليه الدور حتى يقن أخيرا ان السلطات المسؤولة قد نسيت أمره تماما ، ثم كيف رأى «آى - وان» وهو يدخل الزنازة ذات يوم بملابسه الحريرية الفاخرة مقبوضا عليه ، وكيف تم الإفراج عنه على يديه !

وبعد ان فرغ «آى - وان» من قراءة الصفحات ، احسن بالدماغ تطفر من قلبه الى عينيه ، وعز عليه أن يحرقها .. فنهض وطواها بعناية ووضعها في درج تحت مجموعة من الكتب القديمة التي كان جده قد أعطاها له ، والتي لم يجد الوقت الكافي ليقرا منها شيئا .. وظل طيلة تلك الليلة ، وهو يتقلب في فراشه مسهدا يفكر فيما قرأ .. لقد أعطاه «اين - لان» قطعة من نسه ! فإماذا يمكن ان يعطيه هو نظيرا لها ؟. وأخيرا قرأ ان يكون أخا له بالدماغ .. ولما رآه في اليوم التالي ، لم يحدثه عما قرأ ، وإنما وجد «اين - لان» ينظر اليه في حياء وخجل .. ومن ثم قال له :

- هل تقبل ان تكون أخى بالدم ؟

وهنا زالت سمات الحياء والخجل من عيني «اين - لان» وقال :

- نعم أقبل ..

وذهب معا الى غرفة «اين - لان» ، وبعد أن قاما بالمراسم التقليدية القديمة ، جرح كل منهما ذراعه .. ومزجا دماءهما بعضهما ببعض ، وتصافحا وهما يقسمان على الولاء والاخاء الابدى .. خطر هذا كله بذهن «آى - وان» عندما وقف «اين - لان» في ذلك الاجتماع الذي عقد بالفصل المخصص للغة الانجليزية ، وراح يقول :

- لقد صدرت بنا الاوامر بتنظيم الحركة الشعبية بين عمال مصانع الحرير في جنوبي المدينة ، والاوامر تقول ان جمعيتنا هذه ستكون مسؤولة عن تنظيم عمال هذه المصانع ..

ثم اردف قائلا ، وهو يشير الى «آى - وان» :

- عليك ان تتولى شئون أحد هذه المصانع من هنا يا «آى - وان» لان لديك القدرة المالية التي تمكنك من الانتقال اليها أو منها .. وهي

مصانع ناتوان ، اما الذين سيذهبون على اقدامهم ، فسيلكفون بمصانع الحرب

وراح بعد ذلك ، يشرح مهمة كل واحد من افراد الجمعية ، ولما اوشك ان ينتهى .. اذا بالرتقيب «بنج - ليو» يندفع الى مكان الاجتماع هاتفا :

- تفرقوا بسرعة .. فاني ارى اشخاصا مندفعين نحونا ! .. وترفق الجميع بسرعة خاطفة .. ولكن «آى - وان» لاحظ ان «بنج - ليو» ظل واقفا في مكانه ، وكأنما ينتظر شخصا معينا ، واخيرا تحول من مكانه ، وانضم اليهم باسم يقول انه اخطأ في محادثته ، وان الاشخاص الذين حسبهم مقبلين نحو قاعة الاجتماع ، لم يكونوا غير جماعة من التجارين الذين جاءوا لإصلاح بعض الابواب ..

واستأنف الاعضاء اجتماعهم ، وقد نسوا امر «بنج - ليو» ، لانه كان من الشخصيات التي لا تعلق بذاكرة أحد



حياة أخرى

حركة ، وكان هو مستمتعا بملامسة البشرة العاطرة الناعمة ، وأخيرا همهم قائلا :

— انها كالزهرة الزكية الشذى ...

ورغم هذا ، كان يدرك في اعماق نفسه انه لا يحب بيوني ...
وانه لم يحبها يوما ، وانه لن يحبها ابدا .. رغم تلك الاحساسات العجيبة التي تشيع الحرارة في دماغه بين الحين والآخر ، وتحاول ان تدفقه الى ان يأخذها بين ذراعيه . ولكن هذا الشعور بعدم الحب لم يكن يمنعه من الاحساس بانها فتاة .. وفتاة جميلة ، عاطرة الدين ، ناعمة البشرة

وفجأة أفاق لنفسه ، وقد تذكر انه ليس ثمة مجال في قلبه لابة فتاة ، سواء ليوني أو لغيرها ، وان مشاعره كلها ينهبى ان تتركز لخدمة وطنه

ولكن كيف يمكن ليوني ان تفهم هذه الحقيقة ؟ كيف يمكن لها ان تدرك ان موقفه السلبي من عواطفها الجامحة نحوه .. يرجع الى تكريس حياته بكل ما فيها من مشاعر صادقة لخدمة وطنه ؟

ومالت اليه برفق ، وسمح هو لها بذلك .. وشعر بقلبه الصغير يخفق على كتفه أثناء جلوسه الى مكتبه يستذكر دروسه . ولكنه لم يلبس ان نسيها ، ونسى كل شيء غيرها ، فيما عدا اولئك العمال الذين عهد اليه بنشر روح المقاومة ضد الظلم في نفوسهم .. ان هؤلاء العمال كانوا يمثلون في نظره الواقع بكل ما فيه من آلام ومرارة .. اما بيوني — بيدها العاطرة — فلاى شيء كانت ترمز ؟!

وسألته بيوني قائلة :

— ان تأوى الى فراشك الان ؟

وكانت قد أعدت له صحفة الشاي بأوانيها الفضية المذهبة ، وأوانيها الممتلئة بالحلوى والرقائق ، لكي يتناول منها ما يشاء قبل ان ينام

— لا .. ليس الآن

فقالت معاينة :

— لماذا تجهد نفسك هكذا ؟ انك في غير حاجة الى العمل ، لانك لست ابن رجل فقير !

وبدا « آى — وان » حياة أخرى — في الواقع — منذ ذلك اليوم ..
كان يذهب الى مصانع الحرير في اقصى الجنوب من المدينة — سيرا على قدميه — حتى لا يبدو مترفا امام العمال . وكان دائما يقول لنفسه : انه كلما بدأ فقيرا امام اخوانه وزملائه ، كان ذلك افضل واجدى . وكان يذهب اليهم في ملابس العمال ، ويختلط بهم ، ويتحدث معهم . ويعقد أوامر المعرفة الوطيدة بينهم ، ويتردد على اكواهم القائمة في مناطق نائية عن المصانع ، ويتحمل الروائح الكريهة المنبعثة من هذه الاكواخ ، ومن المصانع على حد سواء .. لان مصانع الحرير كانت تخمر شرانق ديدان القز ، مما يجعل روائح النتن تملأ الجو ليلا ونهارا !

وقد حدث في اليوم الاول ، ان رأى النساء والفتيات يعدن الى الاكواخ من المصنع ، وقد بدت أبديهن حمراء دامية متورمة ، ذات منظر يشير في النفس التفزز والتفور . فلما سأل عن سبب هذا ، قيل له ان على هؤلاء النساء والفتيات ان يلتقطن شرانق الديدان من الماء المغلي لبيحثن عن أول الخيط الحريرى ، وكانت طبيعة العمل تحتم عليهن ان يفعلن هذا قبل ان يبرد الماء ..

ولما عاد الى قصر ابيه في تلك الليلة ، قال ليوني :

— دعيني اشم رائحة يدك ..

فمسحت بكفيها العاطرتين الناعمتين على خديه وعينييه ، وعندئذ قال مغمظا :

— ان لها رائحة زكية حلوة ..

فوضعت كفها اليمنى على فمه ، وبقي هكذا برهة بلا حديث او

فهز كتفيه ، وسان .

— اننى اسهر لانى لا استطيع ان انام مبكرا ، وعدم استطاعتى النوم مبكرا يرجع الى انى لست ابن رجل فقير ..

وفجأة اردف قائلا :

— انصرفى الان ..

وفى هذه المرة ، انصرفت فوراً دون ان تنمادى فى معابته ، او تتلكا للمداعبته . ونهض هو ، ووقف الى النافذة ، وراح يتطلع فى سكون الليل الى حديقة القصر الواسعة التى كانت جداولها تتألق فى ضوء القمر ، والى معابرها الجميلة الابيعة القائمة فوق الجداول ، والى طرقاتها المروشة بالحصى الملوثة ، والى خائناتها التى تظلل مغائى للجلوس والسمير ، والى القوارب الصغيرة ، الشراعية والبخارية ، الراسية فى بحيرتها الصنناعية الواسعة

وتنهذ اخيراً وقال وهو ينظر الى الاسوار العالية المحيطة بهذا كله :

— هذه هى حياتى .. حياة مغلقة ، داخل قصر تحيط به الاسوار العالية !



واستمر فى اتصاله بعمال مصانع الحرير فى جنوبى المدينة . وكانت المجامع ، والحروب الاهلية ، ومواسم الجفاف والقحط ، قد دفعت بالملايين من سكان المناطق الداخلية الى الهجرة نحو المدن الساحلية ، لا سيما شنغهاي ، وكأنت كثيرتهم ، وتسابقهم الى الحصول على الاعمال باى اجر ، قد جعل اجورهم تهبط الى اقل مستوى ممكن للاجور

وبين هؤلاء العمال ، كان « آى - وان » يحاول ان يبشر روح المقاومة على الظلم ، والكفاح فى سبيل ايسط الحقوق الانسانية . وقد استطاع ان يقرى ثمانية عشر شابا منهم بالانيسال على التمرينات العسكرية وكان هو قد تلقى علومه العسكرية داخل حديقة قصر ابيه ، على يد ضابط المانى متقاعد . وقد علمه ذلك الضابط الكثير من الفنون العسكرية الالمانية حتى « منسية الاوزة » التى اشتهر بها الشباب الالمانى فى جميع انحاء العالم . وكان يقول

اهم اثناء التدريبات ، كلما رأى رءوسهم منكسة :

— ارفعوا رءوسكم .. فسوف يأتى اليوم الذى تحاربون فيه من اجل حياتكم

وقد حدث فى احد الاجتماعات العامة خارج المدينة ، ان قال رجل كهل من العمال لـ « آى - وان » بعد ان فرغ هذا من حديثه الطويل :

— لقد فهمنا الان اننا كالمستجبرين من الرمضاء بالنار !

وكان « آى - وان » فى ذلك الاجتماع يحدثهم عن وجوب التخلص من روابط الاسرة ، والتحلل من وشائج الدم ، وان المواطن المخلص يجب ان يكرس حياته لخدمة المجتمع حتى لو ضحى فى هذا السبيل بآبائه

ولما سمع « آى - وان » عبارة ذلك العامل الكهل ، قرر ان يركز لطاقته وجهده بين العمال الشبان

وكان - بناء على نصائح « اين - لان » - يحمل الى هؤلاء العمال الحلوى والقطاير ، كلما اراد ان يقنعهم بآراء جديدة .. ذلك انه اكتشف انهم يحسنون الاصغاء اليه ، كلما امتلات بطونهم باطياب الطعام ..

الا انه كان يقف - فى أحيان كثيرة - مدهوشاً امام قوة حجتهم .. فمثلاً حاول ذات يوم ان يشرحهم بالفضب - عندما علم بتغاة الأجور التى يتقاضونها - فهتف فى غضية قائلاً :

— ان ذلك كله سوف يتغير ..

وهنا انبرى له احدهم ، وقال :

— كيف يمكن هذا ، ما دام اصحاب المصانع يجدون عمالاً مستعدين للعمل بأقل من اجورنا الحالية ؟

وقد صاح بهم فى مرة اخرى :

— ان كل واحد منكم لا يقل عن أى انسان آخر ، مهما يكن شأنه ، وان من حقكم ان تكونوا كثيركم من الناس فضحك كثير منهم عندئذ ، وقالوا له :

— انك تقول هذا لانك انسان لطيف .. اما الحقيقة ، فهى انه لا بد ان يختلف الناس بعضهم عن بعض ، كما تختلف حطوط بعضهم

عن حفظ البعض الآخر.

وفي مرة ثالثة قال لهم :

— سوف نرغم الاغنياء على ان يفتحوا لكم ابواب قصورهم !
وكان في قرارة نفسه يقصد قصر ابيه .. وقد رد احدهم عليه
قائلا في سخريه :

— وهل ثمة قصور الاغنياء تكفى لايوه الملايين منا ؟
ورد آخر :

— ومتى سيكون هذا ؟

— قريبا .. قريبا جدا ..

ولم يكن « آى — وان » يعرف متى سيكون هذا ، بل لم يكن
يعرف الا انه عضو في جمعية من عشرات الجمعيات المماثلة التى
تحركها اباد خفية لا يعلم عنها شيئا . وانما كان يتلقى تعليماته من
« اين — لان » . اما من اين يتلقى « اين — لان » التعليمات فهذا
ما لم يكن يعرفه !

وقد ذهب في احدى ليالى الشتاء الباردة — بعد ان فرغ من
تدريبات كتيبته العمالية — الى الغرفة الصغيرة التى يسكنها « اين
— لان » ليتبادل معه الحديث . وقد وجده يقرأ ورقة مليئة بالكلمات
الصغيرة الدقيقة ، فلما شاهده « اين — لان » ، طلب منه ان يجلس
ربما يفرغ من قراءة الورقة ..

وبعد ان فرغ من القراءة ، احرق الورقة ، ثم قال « لاى — وان »
— لماذا تبدو عليك سمات الكتابة يا صديقى ؟

فقال « آى — وان » :

— هل يمكن ان نتجول قليلا في الخارج ؟

وادرك « اين — لان » انه يريد ان يتحدث معه حديثا سياسيا ،
وكان الراى قد استقر بين اعضاء الجمعية على الا يتبادلوا الاحاديث
السياسية بين الجدران الا في الاجتماعات الخاصة ..

ولما وصلا الى شارع مظلم هادى ، قال « آى — وان » :

— متى سيكون اليوم المنتظر ؟

— لن يتجاوز آخر الشهر الثالث من بدء العام الجديد .. ان
الورقة التى كنت اقراها في غرفتى قبل ان احرقها كانت تحمّل

ابناء جديدة عن انتصارات « شيانج — كائى — تشيك » ، وعن اليوم
المنتظر

وبعد ان سارا برهة في صمت ، قال « آى — وان » :

— كيف استطيع ان اقنع رجالى بان كلا منهم انسان له قيمته؟
انهم يؤمنون بان هذا هو نصيبهم من الدنيا ، وانه لا يجوز معاندة
الاقدار والتمرد عليها ، وبانه ما دامت الاقدار قد حكمت عليهم
بالفقر ، فلا بد لهم ان يستسلموا ، بل اننى لم استطع حتى ان
اجعلهم يكرهون الاغنياء . انهم يقولون لى ببساطة : « هكذا شامت
الاقدار ان تجعل الناس في هذه الحياة الدنيا ، بعضهم اغنياء ،
وبعضهم فقراء » ..

وانتظر « آى — وان » ان يسمع ضحكة « اين — لان » ولكن هذا
نال فى حزم وبكلمات حادة :

— هذه هى المشكلة المعقدة يا « آى — وان » . ان الاغنياء
ليسوا مشكلة في نظرنا لان في الامكان القضاء عليهم ونهب ممتلكاتهم .
ولكن المصيبة الكبرى هى اولئك الفقراء الذين ولدوا وعاشوا فقراء ،
ليس في مقدورهم ان ياملوا في حياة افضل .. ان عليك ان تضع
بين ايديهم شيئا « طعاما ، مالا ، عقارا » حتى تستطيع ان تقنعهم
بان في الامكان ان يكون لديهم شيء . وعيبك يا « آى — وان » ، انك
انسان مثالى . ولولا هذا لادركت ان الفقراء ليسوا خيرا من
الاغنياء ..

فقال « آى — وان » مدهوشا :

— اذن لماذا تكافح من اجلهم ؟

فضحك « اين — لان » عندئذ ، وقال :

— سوف اخبرك فيما بعد .. اما الان فهل تظن ان اى واحد
منهم لو كان يمتلك شيئا له قيمته ، يرضى ان يشرك فيه احدا آخر
بلا مقابل ؟ طبعاً لا .. بل هناك ما هو اسوأ من هذا . ان الفقير
المعدم أشد ضراوة من الغنى ! لان الغنى لم يكن في يوم من الايام
اقرب الى الحيوان منه الى الانسان . وعليك من ثم ان تصد
نفسك لاشياء كثيرة رهيبة يا « آى — وان » عندما يحل اليوم
المنتظر

فهمس « آى - وان » قائلا :

— لماذا ؟

— لأن هؤلاء الذين تكافح من أجلهم سيكونون أشد وحشية من الوحوش البرية ، عندما نقول لهم ان المدينة قد أصبحت ملكا لهم .. انهم لن يقتلوا الاغنياء فقط ، وانما سيقتلون بعضهم بعضا أيضا ، بل ان الكثير جدا مما يربدون اخذه والاستيلاء عليه ، سوف يتحطم ويضيع أثناء المعركة . ان علينا ان نتركهم حتى تمر هذه الفترة القاسية ..

— وبعد ذلك ؟ ..

— بعد ذلك يأتي دورنا لكي نستعمل معهم القوة لفرض الطاعة والنظام

— القوة ؟ لقد كنت اظن ان كل انسان سيكون متمتعا بحريته عندئذ ؟

— حريته ؟!

قالها « اين - لان » بصوت اجش عنيف ، ثم اردف قائلا :

— ان مثل هذه الحرية تعتبر حماقة .. ليس هناك من هو حر في حياته .. لا أنت ، ولا انا . اننا اجزاء في آلة كبيرة ، وسيكونون هم ايضا كذلك .. رجل واحد فقط هو الذى يمكن ان يكون حرا ... من هو ... ؟

« شينايخ - كاي - تشيكي » .. وعندما يصل الى هذه المدينة ، سيكون ذلك ايذانا بالعهدي الجديد .. انه اليوم الذى تنتظره جميعا والذى سوف تتكفل فيه كل القوى للضربة الاخيرة



وفيما كان « آى - وان » يتسلل صاعدا الى غرفته الخاصة ، قال لنفسه وهو يتلفت حوله الى كل تحفة موجودة في اركان القصر :

— هل سأتهم كثيرا عندما يأتي هؤلاء البؤساء وينهبون كل شيء منا ؟!

وقال لنفسه :

— لا اظن .. اننى لم اهتم يوما بكل ما في هذا القصر من كنز ..

وقبل ان يصل الى غرفته ، سمع صوت نحيب يصدر عن غرفة اخيه « آى - كو » ، فارهف اذنيه قليلا ، ثم هز كتفيه ، ودخل غرفته حيث وجد بيونى تضع صحيفة الشاي بأدواتها الفضية المذهبة والابنية المطبنة باللباد التى يوضع فيها ابريق الشاي لكي يظل ساخنا ..

وقال لها بعد ان تبادل معها التحية :

— سمعت اخى « آى - كو » ، يبكي في غرفته ، فماذا حدث ؟

فالتصمت الفرحة في عيني بيونى وقالت :

— لقد قررت الاسرة ان ترسله غدا الى المانيا ليدرس العلوم

العسكرية

— عجبا ! لماذا ؟!

— لانه اختلس من البنك مبلغا من المال انفقه على الثوانى

والاصدقاء

واوما « آى - وان » براسه ، وقال هامسا كأنما يحدث نفسه :

— هكذا « آى - كو » دائما .. لا يهमे شيء غير نفسه !

ثم اردف قائلا بصوت مسموع :

— يبدو انك مبتهجة جدا يا بيونى .. لماذا تكرهين « آى - كو »

الى هذا الحد ؟

— اننى لا استطيع ان اخبرك ، ولا أحب ان اخبرك . ولكن يكفى

ان تعلم اننى عانيت هنا بسبب رغبات « آى - كو » ونزواته

واستغلاله لظروفي كجارية !

— ولكننا لم نعاملك هنا كجارية يا بيونى !

فتفتت في حماس وحرارة :

— لانك لم تكن تعرف كل الحقائق يا « آى - وان » . لم تكن

تعرف ان والدتك طالما ارادت ان ترغمنى لارضاء رغبات « آى - كو »

قائلة اننى مجرد جارية لا قيمة لها ، ولا يحق لها ان تعارض في

شيء ..

— اكانت امى تقول لك هذا ؟

— نعم .. وكثيرا ما فكرت في الانتحار بالافيون . وقد اشتريت

كمية ..

ثم انخرطت في بكاء حار ، وأردفت قائلة بين شهقاتها :

— اننى كثيرا ما اتساءل : « ما قيمة حياتى ؟ ولماذا أعيش ؟ اننى لست خادمة لأعيش سعيدة بين الخادما ، وانما جعلتم منى شيئا له قيمته ، ومع ذلك فانى محرومة من أبسط مظاهر الحرية التى يتمتع بها الخدم . لقد علمتمونى القراءة والكتابة ، ولعلمكم تنتظرون منى ان أعترف لكم بالجميل .. كأن يمكن أن أعترف بجميلكم ، لو كان لى الحق فى التصرف فى حياتى ، لو كان لى ان أمل فى حياة أفضل . أما والأمر ليس كذلك ، فقد كنت أفضل لو انكم تركتمونى جاهلة لكى أظل على جهلى بما يجرى فى الحياة ، ولكى أتزوج رجلا فقيرا أعيش معه قانعة راضية بنصيبى من الحياة !

ثم صاحت قائلة بصوت تخنقه العبرات :

— انه ظلم .. ظلم فادح ان تفتح عيننا أنسان على أشياء جميلة ثم تحرمه منها أو حتى من حق العمل فى سبيلها ..

وفى تلك اللحظة قرر « آى — وان » ان يصارح بيونى بالعمل السرى الذى يقوم به . وكان قد تردد من قبل كثيرا فى مصارحتها .. أما الآن ، فقد رأى ان الوقت المناسب قد حان !

وبعد ان حدثها عن الثورة ، وعن العهد الجديد المنتظر ، وعن الحرية التى سيتمتع بها الجميع ، وعن إلغاء الرق وتوزيع الثروة ، نظرت اليه برهة ، ثم ابتسمت وهزت كتفها وقالت :

— اتريد منى ان أصدق ما تقول يا « آى — وان » ؟

— لماذا لا تصدقين يا بيونى ؟

— لانى لا أصدق ان هناك أشخاصا يعملون ويكافحون من أجل غيرهم بلا مقابل ، لا شك ان القائمين بهذه الثورة كثيرهم من الناس .. لهم أمراضهم ومطامعهم الخاصة !

فقال « آى — وان » معاتبا :

— انك تقولين هذا لانك لا تعرفينهم ، وتعرفين أشخاصا مثل أبى .. أشخاصا رأسماليين .. !

— اننى لا أفهم ماذا تعنى بكلمة رأسماليين ! .. وانما أفهم ان الرجل اذا كان ميسور الحال فانه لا يكره ان يعطى غيره شيئا مما لديه ، ولكن .. هل سمع أحد عن فقير ليس انانيا ؟ ان الفقراء

انانيون يحبون ان يكون كل شيء لهم دون غيرهم

فهتف « آى — وان » قائلا فى حنق شديد :

— ولكنك لم تفهمى شيئا .. انه لن يكون هناك اغنياء وفقراء

فضحكت رغم دموعها ، وقالت ساخرة :

— لا تكن ابله ! ..

— ليتنى لم أخبرك بشيء ..

وعندئذ اقتربت منه ، ومالت عليه ، وقالت وهى تضع كفها على خده :

— اطمئن .. اننى لن انسى ما قلت لى .. وانا عادة لا انسى شيئا مما تقوله لى . اننى اخترته فى أعماق نفسى ، ثم أخرجه لافكر فيه حين اكون بمفردى . ولعل أهم شيء هو الا تدعهم يقبضون عليك ..

— اطمئننى من هذه الناحية ..

— وحسبى الآن انى فهمت .. فهمت لماذا تقف .. لماذا تتخذ هذا الموقف من .. منى !

— ماذا تعنين ؟!

وكانت عند الباب فى طريقها الى الانصراف ، حين أجابت وهى تتبسم :

— انك الآن ، كالراهب ..

ثم أسرعت بالخروج وانفلتت الباب وراءها ..



أمل ضائع

قبل الموعد المحدد للاضراب العام بيومين ، عقد « ابن - لان » آخر اجتماع للجمعية قال فيه :

« لقد عرف كل منكم دوره .. ولهذا لا ينبغي أن نجتمع مرة أخرى ، لان رجال الشرطة يوالون مراقبتنا وبعد الاجتماع ، سار « ابن - لان » بجوار « آى - وان » وقال له :

« ان هذه الايام ، هي الايام الحاسمة .. واني ارجو ان تكون على حذر شديد ، ولعلك لم تخبر احدا في بيت ابيك بالامر يا « آى - وان » ، لان حياتنا جميعا تعتمد على السرية المطلقة .. ثم رفع عينيه النفاذتين فجأة الى وجه « آى - وان » ، وهز راسه قائلا :

« الواضح انك افشيت سرنا لشخص ما يا « آى - وان » .. ان وجهك برىء جدا ، ومعبّر جدا .. صارحنى بالحقيقة .. وصارحه « آى - وان » قائلا انه اخبر بيونى بكل شيء . ولشدة ما فوجئ به حين رأى لأول مرة « ابن - لان » غاضبا بصورة مغرعة ، وهو يقول :

« هل تفشى سرنا لامرأة ، وجارية أيضا ؟ هل هناك من هو احمق منك ؟

فقال « آى - وان » بحماس :

« ان بيونى كآختى تماما ، بل انها على استعداد لان تضحي بحياتها في سبيلى . ويكفى ان تعلم انها .. انها .. تجبتي .. انها اولا ليست اختك .. ولعل اسوأ ما في الأمر انها تحبك ،

لأنها سوف تنتقم منك حين تعلم انك لا تبادلها الحب !

« ان بيونى ليست كهذا النوع من النساء ..

فصمت « ابن - لان » برهة قبل ان يقول :

« حسنا .. لقد حدث ماحدث وانتهى الأمر . واني الآن اريد ان ترتب لي مقابلة مع هذه الفتاة في مكان ما حتى اتأكد انها ليست من النوع المنتقم

فتردد « آى - وان » برهة ، وقال :

« اعتقد انها سوف تأتي مقابلتك بدافع من الخجل والحياء

« وهل الجاريات يعرفن الحياء والخجل ؟

« اننا لا نعاملها كجارية ، وانما كواحدة من الاسرة

« حاول معها .. لا تنس ان حياتنا جميعا اصيحت معلقة بكلمة

منها ..

والواقع ان « ابن - لان » كان محقا في خوفه وحذره ، لانه لم يكن يمضى يوم دون ان يقبض رجال المباحث العامة على عشرات من النساء والرجال والطلبة ، ويودعهم السجن لكي يعدموا بعد محاكمة سريعة

وقال « آى - وان » :

« سأحاول ..

وبعد يومين ، اعلن الاضراب العام ، وكان « آى - وان » يتناول افطاره مع افراد الاسرة ، حين رأى اياه يلتقي بصحيفة الصباح في غضب ويقول :

« لقد اضرب العمال اخيرا بطريقة جماعية منظمة ، لثمائة عامل في مصانع حرير « تانوان » ، واربعمائة وخمسة وعشرون عاملا في مصانع « لنج - آى » ، وفي مصانع « سانج - رين » ..

ثم ضرب المائدة بقبضة يده ، واردف قائلا :

« ان لنا اموالا طائلة مستثمرة في كل هذه المصانع .. اننى لا ادري كيف تسمح الحكومة بعثل هذا العبث !

وقال الجذ :

« كان ينبغي على الحكومة ان تضرب يد من حديد على هؤلاء

العابثين !

وقالت والدة « آى - وان » :

- ما هى هذه الشيوعية ؟ . اننى لم اسمع بها من قبل ، اهى
ديانة اجنبية جديدة ؟

وقال الوالد وهو ينهض :

- يجب ان اسرع الى البنك الان لارى ماذا يبنى ان نتخذه من
اجراءات . واعتقد ان الامور سوف تصلح عندما يأتى « شيانج
كاى - تشيك »

وهنا نظر « آى - وان » الى ابيه فى سرعة ودهشة ، وقال :
- ماذا تعنى يا ابنى ؟ .

فضحك الوالد بصوت اجش ، وقال :

- لا شان لك بمثل هذه الامور الخطيرة .

ولم يستطع « آى - وان » بعد انصراف والده ان يخلو
ببيونى لكى يطلب منها مقابلة « اين - لان » فى ذلك اليوم

□

وكان يعلم ان الاضراب سوف يستمر واحدا وعشرين يوما ،
وان « شيانج - كاي - تشيك » سوف يصل فى نهاية اليوم الحادى
والعشرين ليتسلم زمام الحكم بالمدينة . وكان « آى - وان » يعلم
كذلك ان العمال المضربين يتقاضون اجورهم من مصادر سرية
مما جعلهم غير مهتمين كثيرا بالعودة الى العمل . وكان يراهم
يتسكعون فى الطرقات ، وحول المصانع المغلقة . وفى المقاهى ،
وترددون على دور السينما ، وعلى متاجر الحلوى ، وكلما طلب
من كتيبهته البالغ عددها ستة وثمانون شابا وفتاة ان تجتمع فى المكان
الخلوى السرى ، لم يجد غير افراد قلائل يحضرون الاجتماع لكى
ينصرفوا متعجلين . وكان اذا سأل عن سبب تخلف الباقين يسمع
هذه الاجابة دائما :

- اننا نستمتع فى هذه الايام بما لم نستمتع به من قبل . . . اننا
نرى من معالم المدينة وملاهيها ما لم نره يوما ما . . .
ثم يأخذ كل واحد منهم يحكى ما رآه ، وما استمتع به فى تلك
الايام . . .

قال « آى - وان » لـ « اين - لان » ذات يوم :

٤٠

- يبدو ان العمال جميعا نسوا الهدف الحقيقى من الاضراب
فضحك « اين - لان » وقال :

- ألم اقل لك انك انسان مثالى ، وانك لا تعرف من حقائق
الحياة شيئا ! انظن ان هؤلاء الناس الذين عاشوا حياتهم فى عمل
متصل يتركون هذه الفرصة الساححة دون ان يلعبوا وينسكعوا ،
دعهم يلعبون . . ان اليوم الوعود سيكون بمثابة الاعصار الذى
سيدمر كل شىء ، وبعدها نبدأ نحن فى التنظيم والترتيب . ماذا
فعلت مع تلك الفتاة ؟

- لم اجد الفرصة المناسبة لاحدتها فى الامر . .

- حاول . . حاول . . لا تكف عن المحاولة !

وكان « آى - وان » يشعر ان بيونى - على غير عاداتها -
تجنب الانفراد معه . . ولكنه استطاع فى تلك الليلة ان يقول لها
هامسا حين التقى بها على السلم اثناء صعوده الى غرفته :

- اننى فى انتظارك يا بيونى ، تعالى فورا . .

ولما جاءت ، اخبرها برغبة « اين - لان » فى مقابلتها . . ثم طلب
مها ان تحدد المكان والزمان للمقابلة ، وعندئذ نظرت اليه بطرف
عينها ، وقالت :

- لماذا لا تدعوه ليتناول معك الشاى هنا ؟

ولم يجب « آى - وان » . . انه لم يفكر يوما فى ان يدعو
« اين - لان » الى القصر ، خشية ان يرى مظاهر هذه الحياة
المترفة التى يحياها احد اعضاء الجمعية . وهذا ما جعله يرفض
ان يصحب « بنج - ليو » معه الى داخل القصر . ولكن : هل يمكن
ان يكون « اين - لان » حقير النفس ، وضيعا مثل « بنج - ليو » ؟
لا . . لا يمكن هذا . . ان « بنج - ليو » شخصية وضعية تافهة
مكروهة من الجميع . . ولعل « اين - لان » لم يحاول ان يطرده
من الجمعية لانه احقر من ان يستحق الطرد . والمعجب ان كلا
منهما ينتمى الى والد فقير . . ولكن شتان بين « اين - لان » الذكى
القرى المحبوب ، وبين « بنج - ليو » الحقير المكروه ، الا ان هذا
ايضا ملموس بين ابناء الاغنياء . . فان « آى - كو » - كما يعرف -
انسان بغيض مكروه من الجميع ، رغم انه ابن رجل موفور الثراء !

اذن ليس للفقر او الثراء شأن بما عليه النفوس من وضاعة
وسمو ..

وافق من تفكيره على صوت بيوتى ، وهى تقول :
- انك لم تخبرنى اذا كان « اين - لان » هذا وسيما ام لا ؟
- لست ادرى .. !

ثم قال لنفسه : « لقد اخطأت حقا فى افشاء السر لها »
وقالت هى :

- حسنا ! سوف ارى بنفسى .. !

ثم انصرفت ، وهى تفتنى لنفسها بصوت خافت .. !



وفى الموعد المحدد من مساء اليوم التالى ، صحب « آى - وان »
صديقه « اين - لان » الى القصر ، ودخل معه الى الحديقة من
بابها الخلفى الصغير الذى كان يحمل معه مفتاحا له ، وما كاد
« اين - لان » يجد نفسه فى الحديقة الفاخرة حتى راح يتلفت حوله
مدهوشا زانغ العينين . ولما وصلا الى السلم الخلفى الذى كان
مفروشا ايضا بأفخر انواع السجاد ، قال « اين - لان » مترددا .
- هل ستمشى على هذا السجاد الفاخر ؟
- اجل .. !

- اننى اتمنى لو استطعت يوما أن انام تحته !

وفى غرفة « آى - وان » الخاصة ، وقف « اين - لان » على
طرف السجادة الفاخرة التى تغطى الجانب الاكبر من ارضيتها
المصقولة ، وتلفت حوله فى ذهول ، ثم قال بعد ان اغلق « آى - وان »
الباب :

- اهذا هو المكان الذى تغادره كل يوم فى طريقك الينا ؟
- اجل ؟ ماذا به ؟ ..

- ان هذه الغرفة وحدها اكثر اتساعا من بيت ابنى كله فى القرية ..
وبعد ان تأمل ما فى الغرفة من تحف وروائع ومفروشات حريرية
مطرزة بالذهب ، قال وهو ينظر مرة اخرى الى السجادة :
- كم تساوى هذه ؟

- اننى لا ادرى .. فاننا لم اشتر شيئا فى هذا القصر ، وانما

نشأت فوجدته على هذا النحو ..

وقال « اين - لان » بعد ان خلع معطفه وقلنسوته :

- اهلا سيريك ؟

- اجل ..

- اننى لم ار فى حياتى شيئا كهذا .. ان الغطاء الحريرى وحده
يساوى ثروة كاملة .. وما هذه ؟

- ستائر لتحجب الشمس .. ولكن اسمع يا « اين - لان » ..
اننى لست مستولا عن شيء مما ترى ، لقد نشأت فوجدت كل شيء
فيه كما هو الآن

فقال « اين - لان » وهو يجلس على مقعد صغير :

- اننى لا الومك يا « آى - وان » ، وانما اقول لك فى صراحة
اننى لو كنت نشأت فى مثل هذا القصر لما انضمت الى جمعيتنا ..
ان لديك الآن كل ما تكافح فى سبيل الحصول عليه . اننى
يا « آى - وان » اقدرك واعتبرف انك افضل منا جميعا !



واقبلت بيوتى تحمل صحيفة الشئى مع آتية مليئة بالفظائر
والحلوى ، وبعد ان وضعت كل شيء على منضدة صغيرة ، قالت
باسمة :

- لقد اعددت هذه الفطائر بنفسى ، وانا ارجو ان تنال اعجابكما !

وقال « آى - وان » :

- شكرا يا بيوتى .. هذا هو صديقى « اين - لان » . وهذه
هى بيوتى التى حدثتك عنها ..

وعندئذ نهض « اين - لان » واقفا ، وراح يدير قلنسوته بين
يديه فى شيء من الارتباك . ولكن بيوتى بادرت تقول :

- لا داعى لان تقف تحية لى يا مستر « اين - لان » . اننى
لست واحدة من افراد الاسرة ، وانما انا جارية .. !

- ومن اكون انا ؟ ما انا الا ابن فلاح فقير لا يكاد يجد ما يقيم
اوده ..

وراح كل منهما ينظر الى الآخر ، بينما وقف « آى - وان »
بالقرب منهما ، وهو يشعر كأنه غريب عنهما تماما ..

« انك لم تحدثني عن هذه الامور الضخمة كما حدثني
ساعتك .. »

فاباسم وقال :

« لانه احد الدعاة المتخصصين لهذه الامور .. »

« ولكنه كان يأكل كخيوان لم يأكل منذ أيام .. ! »

« اسمعى .. انى اريد ان اتحدث معك على انفراد قبل ان
الأم

لغالت ، وهى تنصرف :

« لا .. لن استطيع هذه الليلة .. »

□

والترتب اليوم المنتظر ، وانتشرت الاخبار ان « شيانج - كاي -
الملك » سوف يصل الى المدينة في اية لحظة بعد سلسلة انتصاراته
الاخيرة ، وتحدد اليوم الذى قرر فيه أعضاء الجمعيات السرية ان
يتركوا اسراهم في الصباح الباكر لينضموا الى الجيش المظفر
الواحد على المدينة . وفي الليلة التى سيشرق في صباحها ذلك
اليوم المشهود ، انفرد « آى - وان » ببيونى في غرفته ، وقال لها
هائسا :

« اننى سأنصرف في الفجر عن هذا القصر .. وربما لن اعود
المرّة اخرى !.. ان التعليمات التى لدى تحتم الا ابدل اى
مجهود لانقاذ اسرتى ، ولكن نفسى لا تطاوعنى . اننى لا استطيع
ان اترك الثوار يقتحمون القصر ويذبحون ابى وامى وكل افراد
الاسرة . ان عليك يا بيونى ان تخبرى ابى بالامر بعد انصرافى ،
واعتقد ان الفرصة سوف تسنح له وللأسرة بالهروب قبل ان
يهرّب الثوار ضربتهم في تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا . هل
تعديننى بذلك ؟ »

واومات بيونى برأسها ، وقالت :

« اجل يا «آى - وان » .. »

ورقد « آى - وان » في فراشه مسهدا ، وراح يفكر فيما سوف
يحدث في اليوم التالى من احداث جسام ، وأخيرا غلبه النوم على
امرء .. »

وقالت بيونى اخيرا :
« اكنت تظن انى سأفشى سر الجمعية ؟ لا .. ان هذا لن يحدث
منى اطلاقا .. »

فقال « اين - لان » بطيء :

« اننى لم اكن اعرفك .. اما الآن ، فانى مطمئن .. »

وافاقت بيونى الى حقيقة مكانتها في القصر ، فالتفتت الى
« آى - وان » وقالت في لهجة اعتذار :

« آه .. تفضلا بالجلوس قبل ان يبرد الشاي

وقال « اين - لان » في مرح :

« وانت ؟ »

وفوجئت بيونى بهذا السؤال ، كما فوجيء به « آى - وان »
اذ انه لم يخطر ببال احدهما ، طيلة حياتهما ، انه يمكن ان تجلس
الجارية الى مائدة واحدة مع سيدها . ومرة اخرى افاقت بيونى
من ذهلها ، وقالت :

« اوه .. ان مهمتى هى ان اخدم ، لا ان اجلس مع السادة .. »
فقال « اين - لان » بحماس :

« اذا لم تجلسى ، فلن اجلس انا ايضا . وعندما تقوم الثورة ،
فلن يكون هناك اناس يخدمون ، واناس يجلسون . اليس كذلك

يا « آى - وان » .. سنكون جميعا متساوين ! »

وابتسم « آى - وان » وقال :

« اجل ، اجل .. اجلسى معنا يا بيونى .. »

ولما ترددت ، مضى الى الباب فاغلقه بالفتاح من الداخل ، وقال
أمرا :

« اجلسى .. »

وجلست ، ثم قالت « لاين - لان » وهم يتناولون الشاي
والحلوى :

« حدثنى عن هذه الثورة .. »

وأخذ « اين - لان » يحدثها ، واخذت هى تنصت اليه مبهورة
الانفاس . ولما انتهى قالت :

« الآن قد أصبحت واحدة منكم .. »

وبعد انصراف « اين - لان » قالت هى « لاى - وان » :

وإبقظه أبوه في صباح اليوم التالي بعنف ، وهو يهزه من كتفه .
فتتح عينيه ليرى وجه أبيه ، وقد بدا شديد الامتقاع ، والفضـ
يكاد يتجسم عليه . وسمع أباه يقول له بصوت رهيب :
- استيقظ ..

وجلس « آى - وان » في فراشه فورا ، بينما اردف أبوه قائلا
بنفس الصوت الحاد الزهيب :
- ارتد ملابسك حالا ..
ونفض الشاب ، وهو يقول مدهوشا :
- ما هذا ، ماذا حدث ؟ ..
فصاح الوالد قائلا :

- الأ تعرف ماذا حدث أبها الاحمق الابله ؟ أيها المخادع المفرور !
وكان « آى - وان » منذ طفولته يحترم أباه ، ولا يجروء على
رفع صوته امامه ايا كان الامر . ومن ثم اطرق براسه قائلا ، وقد
فهم كل شيء :

- ماذا حدث يا أبى ؟ ..
فأخرج أبوه من جيبه قائمة بعدد كبير من الاسماء ، وقال وهو
يقدمها اليه :

- اقرا هذه الاسماء ..
وقرأ « آى - وان » أسماء جميع أعضاء الجمعية السرية في
الجامعة ، وكان اسمه بينها .. ولكنه لاحظ ان اسم « بنج - ليو »
المكروه من الجميع ، لم يكن بينها ، وتذكر عندئذ أنه - آى « بنج -
ليو » - كان قد امتنع عن التردد على الجامعة في الشهر الاخير ،
بحجة سفره الى قريته مريضا !

اذن فان « بنج - ليو » هو العضو الخائن في الجمعية !.
هو الذى نجا بجلده ، بعد ان قدم زملاءه ضحايا ..
وقال الوالد :

- هل تعرف معنى هذا ؟
- اجل .. من أين جئت بهذه القائمة يا أبى ؟
فحملق والده في وجهه ، وقال :

- وماذا يهمك من هذا ؟ .. أسرع بارتداء ملابسك ، فقد يصل

وإلى - النمرلة في أية لحظة للمقبض عليك .. لقد جاء « شينايج -
اللى - نيك » الى هنا ..

« آى - وان » بجسمه يتخاذل ، وهو يقول :
« شينايج - كاي - تشيك » ؟ !
انه في المدينة الآن .. وكان هنا أمس ..

- ولكن .. قيل لنا انه لا يزال في الطريق الينا بعد ان استولى
على العنق ..

- لقد ترك كل هذا لاعوانه وأسرع الى شنفهاى .. أسرع بارتداء
ملابسك

- ولكن .. كيف عرفت يا أبى ؟
- وابته بنفسى ..

« آى - وان » بالفزع وهو يقول :
- انت .. يا أبى .. رأيت ؟
- نعم .. لقد عقد أمس اجتماعا معنا - نحن اصحاب البنوك
في المدينة - وقال لنا انه لا يريد ان تحدث أية انقلابات أو ثورات
في المدينة ، وأن على رجال المال والاعمال ان يتعاونوا مع رجال
العصم الجديد . ارتد ملابسك ، ام تزيد ان تعمد ؟
وارداد احساس « آى - وان » بالانهيار ، وهو يقول
بصوت واه :

- هل قال « شينايج - كاي - تشيك » هذا ؟
- اجل .. لانه رجل حكيم .. وقد امر بتطهير المدينة من جميع
الشيوعيين .. وصاح « آى - وان » وقد اختنق صوته بالبكاء :
- لقد خذلنا اذن .. خذلنا جميعا .. لاشك أن زملائي جميعا
الآن في السجن أو على المسانق .. يجب ان أمضى لأبحث عنهم
.. يجب ..
فدفع به أبوه الى خزانة الملابس ، وقال :

- انك ستمضى الآن الى رصيف الميناء .. والسيارة تنتظر
بالباب . لسوف تبحر في طريقك الى اليابان .. هكذا تمهدت
للمسئولين في الحكومة الجديدة ، اذا سافرت اليوم ، فسوف
يعمون اسمك من قائمة الشيوعيين

وأحس « آى - وان » بالارض تيمد تحت قدميه ، وهو بهمهم
 قائلا قبل ان يسقط مفضيا عليه :
 - اذن فكل شيء لا معنى له .. كل شيء الى ضياع !
 وسمع والده يهتف باسم بيونى لتسرع اليه ، وبعد لحظة سمع
 شخصا يصيح من خارج القرفة قائلا :
 - لقد هربت بيونى .. هربت من القصر .. ائنا لا نجد
 لها اثرا !

الفصل الخامس

قصص الحب

كان « آى - وان » يشعر - والباخرة تحمله الى ميناء ناجازاكي
 في اليابان - بالفراغ حوله ، وفي أعماق نفسه . لقد أحس منذ
 وضع قدميه في السفينة ، ان كل شيء في الحياة باطل ، وأنه لم يعد
 له أمل يعيش من أجله ، وان عليه منذ تلك اللحظة ان يعيش حياته
 يوما بيوم ، وان المستقبل بالنسبة له مجرد ضباب أجوف ليس
 فيه قبس من نور هاد ..

وظل على هذه الحال من الشسوعور بالفراغ ، حتى اقتربت
 السفينة من ميناء ناجازاكي . ولكنه كان - بين الحين والآخر -
 يهوى من هذا الاحساس الاجوف ليذكر أباه ، وبيونى التي هربت ،
 « اين - لان » صديقه الذى أصبح يعتقد أنه مات مقتولا ، و « بنج
 ليو » الخائن ، وبلاده التى لفظته وقررت الا يعيش مرة أخرى
 هلى لراها حتى يصبح جديرا بالحياة فيها من جديد !

ساز

وكان والده قد ارسله للاقامة في بيت صديقه المستر موراكى ،
 التاجر اليابانى الثرى الذى يمتلك شركة كبرى لتجارة التحف
 والعاديات والكنوز القديمة التى كان يستوردتها من مختلف
 المصادر الشرقية ، ثم يصدرها الى الدول الاوروبية والامريكية .

ووقف على سطح السفينة يتطلع الى ميناء ناجازاكي ، وما
 يمتد في مياهه من مئات السفن الصغيرة والقوارب والبواخر
 وسنابل الشحن وناقلات الفحم ، ثم مد عينيه الى المدينة نفسها
 التى كانت تمتد كشريط مستطيل بين الجبال المرتفعة والبحر ...
 وكانت بيوتها مستطيلة ايضا ، وخفيضة ومسطحة الاسقف . وكانت
 الشمس تتألق عليها ، بينما رأى عند قدم الجبال السحاب
 منعقدا .. كأنه مظلة تنتشر فوق المدينة شيئا فشيئا ..

وحمل حقيبة سفره اخيرا ، وتبع الركاب الهابطين الى رصيف
الميناء .. وكان معظمهم من السائحين الامريكيين الذين جاءوا الى
المدينة لمشاهدة معالمها والتجول فيها بضع ساعات ، ربما تعود
السفينة للإبحار في طريقها الى يوكوهاما

وما كاد يهبط الى الميناء ، حتى تقدم منه شاب في مثل عمره ..
ولكنه اقصر قاما ، وامتن جسما ، واكثر سمرة ، وكان ياباني
اللامج ، ويرتدى الملابس الافرنجية . وقد سمعه يقول له بلفة
صينية ذات لهجة يابانية :

– السيد « آى – وان » ؟

فرد « آى – وان » قائلا :

– اجل .. اتنى خادمك « آى – وان »

– اتنى ابن المستر موراكى ، واسمى بونجى .. وان ابى يدعوك
للإقامة في بيته ..

ثم ابتسم الشاب ، فبدت اسنانه بيضاء ناصعة ، كما تألقت
عيناه بالوداعة والطف . وفتحة عاد يقول :

– ما رايك ؟ هل نتحدث الانجليزية ؟ .. انها اسهل ، وان كنت
اتحدثها بلهجة يابانية !

– حسنا .. اذا شئت

وأحس « آى – وان » بالميل نحو ذلك الشاب اللطيف منذ اللحظة
الاولى ! ولم يلبث ان ركب معه سيارة خاصة صغيرة انطلقت بهما
نحو بوابة بيت تحيط به اسوار غير مرتفعة . وهبط بونجى ، وسار
بخطوات رشيقة تنم عن قوة جسمانية كبيرة ، وفتح البوابة وهو
يقول :

– هذا هو بيتنا ..

ومد يده ليحمل حقيبة « آى – وان » ، ولكن هذا اصر على ان
يحملها بنفسه ، وأخيرا اتفق الاثنان على ان يحملها معا ، ولم
يلبث ان اقبل خادم عجوز فحملها عنهما .. وسار الجميع في
ممرات حديقة واسعة لم يشهد « آى – وان » لها مثيلا في حياته
كانت حديقة ذات ممرات وجداول وشلالات صناعية ومعارب
ويحيرات صناعية ، وكانت زاخرة بمختلف انواع الاشجار والزهور

التي تدل احواضاها على ان اليد التي تعهدتها ونسقتها ، كانت يد
فنان بارع .. وقد دهش « آى – وان » حين وجد ان عينيه لم
تقع ابدا على ورقة شجر ملقاة هنا او هناك ، او عود قش في الممرات ،
وعلى اى شيء في غير موضعه ..

وقال بونجى :

– ان حديقة أبى مشهورة في كل انحاء الياپان .. ها هو ذا
ابى .. وأشار الى رجل قصير الجسم ، عجوز ، في ملابس يابانية ،
كان واقفا بالقرب من مدخل البيت ، ممسكا بفصن شجرة صغيرة .
فلما اقتربا منه ، قال الرجل لابنه باليابانية :

– هاه .. لقد جئت ..

وعندئذ قال بونجى بالصينية :

– هذا هو ضيفنا يا أبى ..

فقال الرجل العجوز على الفور بلفة صينية كالتى تنشر في
الكتب :

– في بيتى هذا الصغير ارحب بابن صديقى كل الترحيب ..

وأحب « آى – وان » ذلك الرجل العجوز فورا .. وأحس بشيء
نا في أعماق نفسه يسخر من قول « ابن – لان » ذات مرة :
« عندما يحدث الانقلاب ، سنحارب اليابان لنسترد ما أخذته من
بلادنا » . وكان قد ظل يكره الياپانيين منذ ذلك الحين . أما الآن
فقد شعر انه لا يستطيع ان يكره هذا الرجل العجوز الذى يرحب
به في بيته ..

وقال « آى – وان » :

– اتنى اشكر لك هذه الضيافة التى اعتقد اننى لا استحقها ..

فقال الرجل العجوز ، وهو لا يزال ممسكا بفصن الشجرة :

– هاه ! ان اباك صديقى ، وان كل مالدينا تحت امرك . انظر ..
ان اشجار الشليك توشك ان تزهر ، لقد جئت في الوقت المناسب .
ان اليابان كلها سوف تسبح قريبا في امواج من الزهور ..

وقال بونجى لـ « آى – وان » :

– ليس في الدنيا شيء احب الى ابى من الزهور .. انه يعيش
الآن من اجلى

وإتسم العجوز ، ثم قال بعد لحظة صت :

– بحسن باونجى أن تمضى بضيفنا العزيز الى غرفته ليزار!
من نفسه وعشاء السفر

وقال بونجى ، وهما فى الطريق نحو البيت :

– لقد اعتزل أبى الاعمال الآن .. ويقوم بالعمل بدلا منه فى
الوقت الحاضر اخواى الكبيران ..
– وانت ؟

– انتى كاتب فى الادارة هنا ، والاحظ عملية استيراد وتصدير
البضائع

ووصلا الى باب واسع ، حيث استقبلتهما خادمتان جميلتان ،
كل منهما ترتدى «الكيمونو» الحريرى المشجر ، وقد اخذت كل
منهما تلعخ حذاء احد الشابين ، وتضع مكانه شيئا يابانيا من
الخصوس المنسوج الناعم

وتبع « آى – وان » صاحبه بونجى صاعدا بضع درجات الى
بيت لم يسبق ان رأى له مثيلا من قبل .. فقد كان مكونا من طابق
واحد ، وفى ذلك الطابق كانت ثمة غرفات عديدة تفصلها حواجر
متحركة . وكانت الغرفات عازية الا من اثانات ضعيفة ، ولكن
« آى – وان » لاحظ ان كل غرفة لم تكن تخلو من اوانى الزهور
الفاخرة ، وادوع من هذا كان شدى الحديقة العاطر ينساب الى
جميع الغرفات على السواء ..

وقال بونجى :

– ان أبى يحب ان يعيش فى بيته على الطريقة اليابانية القديمة .
ولكنك سوف تجد فى غرفتك بعض المقاعد . وان أخى سيو – المضم
فى يوكوهاما – يعيش أيضا على الطريقة الافرنجية . ولهذا تجد
المقاعد كثيرة فى بيته ..

وضحك بونجى ، وشاركة « آى – وان » فى الضحك . وقصد
شعر ان ذلك الفراغ الذى يملأ حياته قد بدأ يتلاشى تدريجيا ..

ولما وصلا الى الغرفة المخصصة « لآى – وان » قال بونجى :

– هذه هى غرفتك .. انها بجوار غرفتى ، وان لها حديقتهما
الخاصة ..

وأراح حاجزا انيقا مزينا بالخرمات ، فبدت غرفة رحيبة ليس
بها غير مقعدين وثيرين ، وحصير لين سميك ، واثاء من الزهور ،
وأرائش مطوى فى ركن منها .. ولكنه كان كله مصنوعا من الحرير
الذهبى . وكان للغرفة باب آخر يفضى الى حديقة صغيرة خاصة
بها .. حديقة مليئة بالزهور ، وبها ممر خاص ، وشلال صناعى
صغير ، وجدول من ماء يرتراق

وقال بونجى :

– لا يستطيع أحد ان يقتحم عليك حديقتك هذه الا البستاني
العجوز .. ومن ثم فهى خاصة بك . وإذا شئت شيئا ، فصفق
بهديك تحضر اليك الخادمة . وسوف يكون طعام الغداء معدا بعد
صاعة . وبعد ان تقتسل وتسترخ ، سوف اعود اليك

وحلس « آى – وان » على المقعد برهة ، واستغرق فى تفكير
الرب الى الدهول ، ولكنه لم يلبث ان صفق يديه ، فجاءت خادم
شابة جميلة ، وانحنت امامه وهى تعقد يديها على صدرها ، فطلب
منها ماء للاغتسال ، وسرعان ما احضرت اليه الماء العطر ، وبعد ان
امسك واستراح ، سمع نغرا خفيفا على الباب ، فأذن للطئارق
بالدخول ، فدخل بونجى حاملا « كيمونو » من الحرير الذهبى
للألا :

– لقد جئت اليك بهذا الثوب اليابانى ، وانا اعتقد انه سيكون
ابعث على راحتك من هذه الملابس الافرنجية الضيقة

وشكره « آى – وان » ، وراح يرتدى الثوب اليابانى الفضفاض
بينما استدار بونجى بظهوره اليه ، متطلعا الى الحديقة الصغيرة
الخاصة . ولما فرغ من ارتداء الثوب ، استدار بونجى اليه ، وقامله
قلبا – وهو يبتسم – ثم قال :

– الواقع ان ملابسنا لا تختلف كثيرا عن ملابسكم .. اتنا ترتدى
الملابس التى كانت شائعة فى تاريخكم القديم ، وانتم ترتدون
ملابسنا الحديثة . هل تشعر بالراحة فيها ؟ حسنا .. انها تناسب
الفتيات جدا . انتظر حتى ترى أختى .. اتنا مودجا .. اعنى انها
فئة عصرية .. عصرية بمشاعرهما . ولكن أبى يصر على ان ترتدى
فى البيت الملابس اليابانية التقليدية . آه .. لا شك أنك جائع .

هلم .. فان الطعام معد

وضحك الشاب يونجى . وكان دائما ينهى حديثه بضحكة لطيفة، ثم تقدم صاحبه الى غرفة كبيرة مربعة مظلة على الحديقة الرئيسية ، وهناك وقف بالباب وانحنى تحية لوالديه اللذين كانا جالسين الى مائدة منخفضة وقال :

— امام ! هذا هو ضيفنا « آى — وان »

وانحنى « آى — وان » لدام موراكى ، وهو يقول لنفسه « اننى لم ارق حياتى سيده جميلة على هذا النحو » وكانت تختلف كثيرا من والدته البديته .. اذ كانت صغيرة الحجم ، نحيلة الجسم ، رشيقة الحركة ، ناعمة البشرة رغم بلوغها الخمسين من العمر ، وكانت عينها السوداء وان تمان عن الوداعة والقدرة البالغة على التحمل والصبر

وكانت تشبه — وهى تنحني له ثم تنتصب — زهرة تتجمع ثم تنتشر اوراقها برشاقة مذهلة . وقد قالت وهى تبسم فى عطف : — انى سعيدة بحضورك .. هل تسمح بالجلوس ؟ .. اننى آسفة اذ اتحدث الانجليزية ، لان لغتى الصينية رديئة جدا

فقال « آى — وان » :

ارجو ان اتعلم اللغة اليابانية بسرعة ، وعندئذ استطيع ان اتحدث معك بلغتك ياسيدتى ..

وجلسوا جميعا على حصر فاخر فضى اللون ، حول مائدة خفيفة، ولم تلبث ان انبثقت فى ميعبة الصبا ، متوردة الوجه ، جميلة الملامح ناعمة الشعر ، ترتدى « كيمونو » مشجرا فاخرا .. اقبلت تحمل صحفة نضية عليها اوعية طعام . فوضعت امام كل واحد من الاكلين وعاء ، ثم انصرفت ..

وبعد انصرافها ضحك يونجى . وبأبسم والداه ، ثم قال :

— هذه اخنى « تاما » .. انها تشعر الان بالخجل وان تأكل معنا هذه المرة ، ولكنها سوف تنقلب على خجلها سريعا

وقال « آى — وان » الذى لم يكن قد نظر الى الفتاة الا لمحا خاطفة :

— هل تسمح تقاليدكم بان اتحدث مع اختك ؟

وتمتعت مدام موراكى بكلمات يابانية قليلة ، ثم قال يونجى :

— ان امى تقول : انتظر حتى تعود ، ثم حدثها ..

ولكن للوصف التالي من الطعام جاءت به احدى الخاديمات . ومن م ضحك يونجى وقال :

— لقد ادركت « تاما » اننا سنحدثك عنها ، ولهذا لم تحضر هذه المرة ..

وضحك الجميع .. وشعر « آى — وان » بالهجة تسرى فى كيانه . لقد وجد ان هذه الاسرة تأخذ الحياة ببساطة وبسر ، وتحاول ان تضحك لكل شئ .. وقالت مدام موراكى عند الفراغ من الطعام :

— ارجو ان يكون طعامنا قد اعجبك ..

— شكرا .. انه شئى جدا ..

وبعد ان تناولوا الشاى ، استأذنت السيدة موراكى ، وانصرفت

.. ثم نظر يونجى الى ابيه الذى لم يلبث ان قال « لاى — وان » :

— ان والدك يريد ان تعلمك تجارتنا .. فاذا لم يكن لديك مانع، فلاننا نرحب بك . وقد رأينا ان تعمل فى الصباح مع يونجى . اما فى المساء فيمكنك ان تتم دراستك او تستمتع بوقتك كما تشاء

فقال « آى — وان » وقد ايقن انه سعيد حقا بحضوره الى اليابان :

— اننى شاكر لكم هذا الفضل ..

فنهض العجوز موراكى ، وهو يقول :

— حسنا جدا .. اتفقنا .. واذا احسست يوما انك غير سعيد معنا ، فيمكنك ان تصارحنى ! اننى هنا فى مكان والدك تماما ..

فرد « آى — وان » قائلا بحماس :

— اننى واثق اننى ساكون سعيدا جدا ببتكم ..

— عظيم .. اننى احب ان يكون جميع الذين يعيشون معى سعداء

وبعد ان عاد الى حديثه ، قال يونجى وقد التمتعت عيناه مكررا :

— لسوف نأبى « تاما » الان ، فكيف تنصرف ياغريزى « آى — وان » ؟ هل تحب ان تلبس « موبو » اى فتى عصريا ، او تفضل ان تكون

شرقيا صيما ؟

فابتسم « آى - وان » وقال بخجل :

- كيف تحب هى ان اكون ؟

- لن أخيرك .. وسوف ترى بنفسك . آه .. ها هي ذى مقبلة .
وانزلق الحاجز برفق ، ووقفت « تاما » فى مداخل الغرفة مترددة ،
ورفع « آى - وان » عينيه اليها . . فرأى فتاة فى نحو السابعة
عشرة من عمرها ، ترتدى « كيمونو » وردى اللون ، وتضع فى قدميها
الصغيرتين حذاء يابانيا ، وحول خصرها حزام من الجلد الذهبى ،
وشعرها الاسود الفاحم يتهدل على كتفيها ، على الطريقة العصرية ،
وقد احاط بوجه مستدير متورد دقيق الملامح ، عذب السمات . .
ولم يغل ترددها غير لحظة واحدة ، انحنت بعدها امام « آى - وان »
برشاقة كما فعلت امها ، ثم قالت لاختيها :

- استمع يا يونجى ؟

وقال يونجى وعيناه تتراقصان مكرًا :

- هذه اختى تاما . . وهذا يا تاما صيفنا « آى - وان »

ومرة اخرى انحنت تاما ، ثم تقدمت وهى تمد يدها قائلة :

- لنتصافح . . اليس كذلك ؟ ان يونجى قال انك فتى عصرية ،

وانا كذلك . ولكن ابي يحب التقاليد القديمة . . اننى طالبة
بجامعة كيوشو

ومد « آى - وان » يده وصافحها ، ثم رفع عينيه مرة اخرى
اليها ، وعندما تلات نظراتهما ، احس كان شيئا فى اعماق نفسه
يهمس ، ولكنه لم يكن يدرى فى تلك اللحظة انها همسات الحب
للقب البكر ! .. !

الفصل السادس

عذابات الحب

استقر « آى - وان » فى حياته الجديدة ، سعيد النفس ،
طمئنا الى الحياة ، متحررا تماما من تلك الآمال الجوفاء التى
ناشها خلال هذه الفترة العصبية التى عاشها فى وطنه ، متسانلا فى
نفسه بين الحين والآخر عن المصير الذى انتهى اليه كل من بيونجى
و « اين - لان » . وكان يشعر فى قرارة نفسه ان « اين - لان » قد
مات . ولكن . . ماذا عن بيونجى !

واستلم عمله فى ادارة شركة الاستيراد والتصدير التى يمتلكها
مضيفه المستر موراكى ، ويديرها ابناؤه الثلاثة . وكان يدير فرعها
فى ناجازاكى ابنه الاوسط اكيو . وكان رجلا فى نحو الثالث والثلاثين
من العمر ، هادئا ، مكتئب السمات دائما ، قليل الكلام . وقد قال
يونجى عنه « لآى - وان » ان اكتئاب اخيه اكيو يرجع الى حالة
من الخلاف المزمن بينه وبين ابيه . . ذلك ان اكيو كان قد احب
فانية يابانية تدعى سوسى ، وامر على الزواج منها . ورفض
الوالد العميد ان يوافق على هذا الزواج ، فاضطر اكيو الى ان
يسأجر لعشيقته بيتا خاصا فى اطراف المدينة ، وان يحيا معها
حياة تشبه الزوجية ، وان لم تكن لها شرعية الزواج . ولم يعترف
الوالد بهذه العلاقة ، فكان اكيو يعيش فى بيت ابيه كواحد من
امراء الاسرة ، ولكنه كان بيتا لياليه مع حبيبته فى بيت خاص .

وراح « آى - وان » يبذل كل ما يستطيع من جهد ليتعلم
اسرار تجارة الاستيراد والتصدير ، ولكن يظفر باعجاب المستر
موراكى الذى كان يرسل اياه بانتظام . وكان هو ايضا يرسل
اياه ، ويعلم من خطاباته بان الحالة فى وطنه قد استقرت ، وان



الجنرال « شيانج - كاي - تشيك » قد امتلك زمام الامر ، وقرض على جميع معارضيه ، وطرده الشيوعيين الى الجبال وكانت لفرفة مكتبة في ادارة الشركة بالينام ، نافذة تطل على البحر ، وكان يونجى كثيرا ما يقول له وهو يشير الى المياه الممتدة على مدى البصر :

— لو نظرت من هذه النافذة في خط مستقيم ، فسوف تجد وطلبك امامك مباشرة

وكان « آى - وان » يتسم في حزن ولا يجيب ، ولكنه كان يقول لنفسه : « هل عاد لى وطن ، بعد ان خرجت منه هاربا ! »

ومضت اربعة اشهر على هذه الحال ، كان يرى خلالها « تاما » كل يوم تقريبا في وقت الغداء ، ولكنه لم يكن يستطيع ان يتبادل معها الحديث على انفراد ، بعد ان علم ان التقاليد اليابانية تمنع وجود اى نوع من العلاقات الخارجية بين قناتة وقتى غريب عنها ، حتى لو كان ضيفا مقيما في بيت والدتها

ولكن « آى - وان » وجد في الكتب الادبية عالما جديدا ، كان لا يعرف عنه شيئا حتى ذلك الحين . لقد كانت معظم قراءاته من قبل تدور حول النظم الاجتماعية ، والاحداث التاريخية ، والآراء السياسية . اما الآن ، فقد وجد الوقت الكافى ليعيش مع ابطال روايات عالمية ، ولشده ما كان قلبه يخفق وهو يقرأ عن الحب .. الحب الذى كانت همساته لا تكف عن التردد في اعماق قلبه !

وفى ذات يوم من ايام الصيف ، بعد الاشهر الاربعة الاولى من اقامته في اليابان ، شعر وهو في غرفته بقلق لا يدرى سببه .. فنهض وارتنى ثوبه اليابانى ، ومضى الى عرفة الطعام . وهناك شاهد « تاما » بمفردها ترتب وتنسق الازهار في مزهرها ، فلما استدارت اليه بدهشة ، قال معتبرا :

— انسى آسف .. يبدو انى جئت مبكرا عن الموعد

وقبل ان يتراجع ، سمعها تقول له :

— لا عليك .. ولا داعى لان تنصرف الآن ..

وكانت تلك اول مرة يقف فيها معها بمفرده ، بل كانت تلك اول مرة يتحدث فيها على انفراد مع ابة قناتة - فيما عدا بيونى طبعاً -

ولم تكن بيونى تمثل في نظره هذا النوع من الفتيات . لقد نشأ وهو يراها جارية وان لم يكن يعاملها كجارية

. ووقف ينظر اليها مدموها ، وهى تنسق الازهار ببراعة .. قلما فرغت ، التفتت اليه باسمة وقالت :

— ما رايبك في هذا ؟

— رائع .. رائع ..

— اننا نتعلم هذه الاشياء .. نحن الفتيات اليابانيات تم لوت شفيتها ، واستانفت كلامها بدلال :

— ولكننى لا اجد احدا يعلمنى الاشياء التى اريد حقا ان اعرفها

وقبل ان يسألها عن هذه الاشياء ، انزلق الحاجز ، وظهر المستر موراكى . وقد بدت عليه الدهشة حين رآهما معا . ولكنه انحنى محبيا ، بينما اسرعت « تاما » تقول :

— ما رايبك يا ابى في هذه الزهور ؟

واشرق وجه الرجل العجوز ، وهو يرى امامه احب شىء اليه في الحياة ، ثم تناول المقص وتقدم نحو المزهرة وهو يقول :

— عظيم ، عظيم .. ولكن كان يسغى ان تشبهى هذا الفصن هكذا .. آه ، ان للزهور لفة تعلم الانسان يا « تاما » فن الحياة !

ولما اوى « آى - وان » الى فراشه فى تلك الليلة ، راح يستعيد في ذاكرته كل كلمة ، وكل نظرة ، وبدت من « تاما » اليه . وكان يشعر بقلبه يخفق في قوة كلما تهادى في ذكرياته ، واخيرا قال لنفسه وهو يضحك في جزل ، ويتناول قصة حب :

« يبدو اننى ايضا اعيش في قصة حب »



ومضت الايام والشهور مرة اخرى ، دون ان تتاح له فرصة الحديث على انفراد مع « تاما » ثانية . ولكنه كان يشعر من نظراتها اليه ، ان همسات الحب قد ترددت ايضا في قلبها . وكان هذا حسه ..

اذا كان يعلم تماما ان والدها ، لو عرف بما بينهما من شعور متبادل ، لارسل به فورا الى وطنه

ولم يكن هذا هو التقليد الوحيد الغريب الذى شاهده في اليابان . لقد كان في كل يوم يرى تقاليد اعجب واغرب .. فمثلا راي ذات

ولهجته الرقيقة :

— لا تفادرننا يا ولدى العزيز ، فاني احب ان يبقى معنا ابن اعز
اصدقائي

وكانت « تاما » قد انتهت من دراستها في نهاية هذين العامين ،
واستقرت بالبيت . ورغم هذا ، لم يستطع « آى — وان » أن
يتفرد معها في مكان ما ، سواء بالحديقة او بداخل البيت ليحدث
معها بحرية . وكان كل شيء — ظاهريا — يتم على ان لها مطلق
الحرية في التجوال خلال الحديقة او في غرفات البيت . ومع ذلك
فانه لم يحاول مرة ان يتحدث معها على انفراد حتى يرى أمها او
أباها او إحدى الخاديمات تبرز من مكان ما ، وكان الامر قد حدث
مصادفة !

الا انه لاحظ تغييرا كبيرا طرأ عليها بعد ان انقطعت عن الدراسة،
واستقرت بالبيت ، لاحظ انها فقدت كثيرا من مرحها السابق ،
وأصبحت اكثر صمنا ، واميل الى العزلة ، واشد استغرافا في
التفكير ، وقد سأل « آى — وان » صاحبه بونجي ذات يوم قائلا :
— ما سبب هذا التغيير الذي طرأ على « تاما » منذ استقرت
للاقامة بالبيت ؟ ..

فقال بونجي بلا حيلة

— انها الآن في دور الاعداد للزواج

فقال « آى — وان » مدهوشا :

— الزواج ؟ هل ستزوج ؟

ولم تكن فكرة زواج « تاما » قد خطرت بباله من قبل . ولكن ،
لا شك انها ستزوج وقد بلغت العشرين من عمرها تقريبا
ورد بونجي قائلا ، وهو ينشر مظلنه اثناء سيرهما من الادارة الى
البيت في يوم مطير :

— طبعاً سوف تنزوج .. ولكن لم يستقر بعد ، الراى بشأن
زوجها ، الا انه من عادتنا بعد ان ننال الفتاة كفايتها من التعليم ،
ان تستقر في البيت ، لتتعلم الطهو ، والخياطة ، وتنسيق الزهور ،
وصنع الشاي ، والغزف على الآلات الموسيقية ، وكل شيء يمكن ان
يسعد زوجها

يوم غلامين يحمل كل منهما سلة طعام وينطلق بدراجته ليصل بها
الى احد العملاء . ثم حدث ان اصطدم أحدهما بالآخر ، وتناثرت
محتويات السلتين في الطريق . وتوقع « آى — وان » ان يرى
الغلامين يشتكيان في معركة عنيفة ، ان لم تكن بالأيدي ، فباللسان .
ولكن لئلا ما كانت دهشته حين رأى أحدهما ينحن للآخر باحترام
ويقول :

— انتى آسف .. هذه غلظتى ..

فيرد الثاني قائلا بحماس :

— بل هي غلظتى انا .. معذرة !

ثم ياخذ كل منهما في جمع محتويات سلة الآخر ، ويعيدها اليه
وهو يكرر الاعتذار !

وكاد « آى — وان » ، عندما ذهب لأول مرة مع بونجي الى
الحمام العام الا يصدق عينيه حين رأى اليابانيين — نساء ورجالا
— يستحمون معا وهم عرايا تماما . ولما أعرب عن دهشته لبونجي ،
قال هذا له بسطحة :

— هذا تقليد معترف به .. ولا عيب فيه ، وانما العيب الكبير
الذى لا يفخر هو ان يضبط أحد الرجال ينظر الى إحدى النساء .
ان المرأة تشعر بالاهانة اذا نظر رجل الى جسدها العارى !

ولم يجب « آى — وان » بشيء . وانما راح يعجب لهؤلاء
اليابانيين الذين عرفوا كيف يتسامون بالفرائز الجنسية ، وكيف
يتحكمون في هذه المشاعر الحارة التي بدأت تندفق في دماغه ،
وتتشعل تفكيره بعد ان تحرر من تلك الآمال الخيالية التي عاش عبدا
لها حتى وصوله الى اليابان ..



اكثر من أربع أو خمس مرات مسأل « آى — وان » صديقه
بونجي — أثناء العامين الأولين اللذين قضاهما في اليابان — قائلا :
— ألا ترى يا بونجي انه لا ينبغي لى ان ابقى مقبعا في ضيافتكم ،
الا يحسن ان اتخذ لنفسى غرفة في فندق !

وكان بونجي يصبح محتجا في كل مرة ، ثم يخبر اياه بما سمع .
وكان الوالد يأتي الى « آى — وان » ويقول له بصوته الهادى .

وعاد « آى - وان » يقول وقد أحس بالجفاف فى حلقه
- اذن سوف تنزوج « تاما » ؟

وقال يونجى :

- اجل .. ولكن ليس الآن ، ان عليها ان تتعلم اشياء اخرى
كثيرة عن الحياة الزوجية ، ومن المحتمل ان تستاجر لها امى احدى
فتيات الجيشا لتعلمها اسرار هذه الحياة

وشعر « آى - وان » بالرعب يستبد به .. أيمكن أن يتصور
« تاما » وهى زوجة رجل آخر .. تتعلم كل شيء لكى تسعده ؟
وقرر ان ينتهر تلك الفرصة ، ليعرف عنها من يونجى كل مايمكن
معرفة ، فعاد يقول :

- هل أنت واثق يا يونجى انها ليست مخطوبة ؟

وقال يونجى ، وهو يهز كتفيه ، وقد ارتسمت على شفتيه
ابتسامة لها دلالتها :

- لا دخل لى فى مسألة زواجها او خطبتها يا « آى - وان » .
ولكننى اعتريك اخا لى ، ومن ثم استطيع ان أقول لك ان ابى يريد
ان يزوجه بالجنرال سىكى

وكان « آى - وان » قد عرف اثناء اقامته فى ناجازاكي من هو
ذلك الجنرال سىكى . عرف انه كهل فى نحو الخمسين من عمره ،
مشهور بمعاركه الحربية المظفرة ، وبشروته الطائلة ، وبنفوذ
الواسع فى البلاط الملكى ، وبجبهه للمظاهر امام الشعب . ذلك انه
حرص عند وفاة زوجته ان تشيع فى موكب جنازى لم تشهد له
ناجازاكي مثيلا

واحس « آى - وان » بالفتيان ، وهو يذكر هذا كله ، ثم يقول
ليونجى :

- لا يجوز فى رأى ان تنزوج الفتيات الناشرات بكهول سمان ،
غليظى الاعناق . مثل الجنرال سىكى !

- ان الجنرال سىكى صديق قديم لايى ..

ثم ضحك يونجى ، واردف قائلا :

- لا تفكر كثيرا فى مثل هذه الامور يا « آى - وان » .. لا تجعل
لحجب كل هذه الاصمية .. انظر الى اخى آكىسو ! الا ترى الى آى

حد يبدو مكتئب السمات بسبب حبه لسومى ؟
فقال « آى - وان » ببطء :

- اننى لا أفكر فى الحب .. وانما أفكر فى « تاما »

وعندئذ شعر بشيء كأنما يهمس فى اعماق نفسه : « وما الفرق
بين الاثنين .. البست « تاما » هى الحب ؟ ! »



يوم سعيد

ولما تراجع الصيف لترك المجال للخريف ، شعر « آى - وان » بالحب بملأ عليه نفسه الى حد قرر معه ان يفتح والد « تاما » فى امر زواجها . وكان يعرف فى قرارة نفسه ، ان والده لن يعارض فى مثل هذا الزواج . بل كان واثقا انه سوف يرحب به ويباركه . وكان يرى ان يتقدم لخطبة « تاما » على الطريقة العصرية ، اى لا يلجأ الى احد ليتوسط له فى هذا الامر . ولكنه كان - كلما التقى بالمستز موراكى العجوز - وجد انه لن يستطيع ان يفتح فى امر كهذا . . . ذلك ان الرجل كانت له هيبه تبعث فى قلب « آى - وان » الخشية والرهبة . ثم من يدريه انها - « آى - تاما » - سوف ترحب به زوجها ؟ . انه يرى عينيها تتالقان حقا بتور خفى كلما التفت نظرانها . . . ولكن ، من يدريه ان هذا هو الحب ؟ انه لم يعرف الحب من قبل مع اية فتاة اخرى ، وان شعوره السابق نحو بيونى لم يكن اكثر من مجرد اشتهاه . . . وقد قرأ فى كتب الحب ان هناك فارقا كبيرا بين الاشتهاء والحب

وابا كان الامر ، فسواء كانت « تاما » تبادلته الحب ام لا ، فان عليه ان يطلب منها الامتناع عن زواج رجل مثل الجنرال سيبكى ، وان عليه ان ينتهز اول فرصة ليقول لها هذا . . . فاذا فعل ، سوف يشعر بشيء من راحة الضمير

وظل يتحين الفرص للحديث معها على الافراد ، ولكن الرفاقية داخل البيت كانت محكمة - وان بدت ظاهريا غير مقصودة - وكان فى قرارة نفسه يشعر بالضيق والاستياء ويتساءل : هل يدري منه ما يجعلهم يتشككون فى نواياه !

وسنحت الفرصة ذات يوم بعد الظهر . وكان الشتاء قد كسى المدينة ببرده ، ووضع على صفحات الجداول والانهار تلك الطبقة الرقيقة من الجليد ، وكانت واقفة فى حديقة البيت منحنية على غصن شجرة صغيرة ، فأسرع نحوها قائل ان يبرز احد من افراد الاسرة او الخدم ، وقال لها :

- « تاما » .. اريد ان اتول لك شيئا ..

وتعلمت برهة . . . وكان يتحدث باللغة اليابانية التى غدا يتقنها :

- وكنت اريد ان اقول لك منذ مدة طويلة . . .

ورفعت عينيها اليه ، وكانت فى نظراتها رقة ومودة ، مماشجعه على الاستطراد قائلا :

- لا يجب ان تتزوجى الجنرال سيبكى ، او اى رجل عجوز . . .

لا يا « تاما » ارجوك . . .

وقبل ان يزيد على هذا كلمة اخرى ، لمح مطرف السيدة موراكى يرفرف وهى تقترب نحوها بسرعة ، وان حاولت ان تجعل الامر يبدو طبيعيا . وخطر بباله ان يبتعد ، ولكنه وقف حاسدا فى مكانه ، وهو يقول لنفسه « لماذا انصرف وكأنى مذنب هارب » ولحمت « تاما » امها ، فتقدمت نحوها ، ولكنها بعد ان قالت بصوت هاسس « لاى - وان » :

- اننى لن اتزوج الا من اريد . . .

وكان صوتها الخافت يرم - رغم هذا - عن روح من الامرار والعداوت . ومن ثم ، احس كان ايضا من السعادة بعض فى حثايا نفسه



قال يونجى فجأة ، وهو جالس فى مكتبه ذات يوم من ايام الربيع :

- اريد نزعة الى الجبل . . . لماذا لا ؟ اننا لم نستمتع بعظلة يوم منذ بدء العام الجديد . لقد اوشكت ساقاى على التجمد !

وكان « آى - وان » قد تعود ان يفاجئه يونجى بمثل هذه الاقتراحات . . . كان يبقى ساكنا اياما او اسابيع ، ثم اذا هو يعرب فجاءه عن رعيته فى القيام بنزعة الى أعلى الجبل . . .

وايتسم « آى - وان » وهو يتذكر مروح يونجى فى مثل هذه المناسبات ، وقدرته الفائقة على الجرى بساقيه الموقستين ، ثم قال :

- متى ؟

- غدا .. سوف تذهب الى قمة اترين ، واعتقد ان ازهار الينفسج سوف تكون متفتحة

ثم توقف برهة ، قبل ان يردف وهو يبتسم :

- وسوف نصحب « تاما » .. ما رأيك ؟ لقد كانت دائما تصحبنى الى مثل هذه النزعات قبل ان تأتى أنت الينا ..

وتشل « آى - وان » نفسه بحشو متبفه واشعاله ، ثم تدخينه .. حتى لا يلحظ يونجى ما يدا عليه من اضطراب مفاجىء ، واخيرا بصوت حاول جاهدا ان يجعله طبيعيا :

- وهل يمكن ان تأتى ؟

فقال يونجى بصوت عابت وهو يرتو الى « آى - وان » بظرف عينيه :

- لا ادرى .. هذا يتوقف على رغبته الخاصة ، فاذا رأت ان مثل هذه النزعة ستكون ممتعة ، فسوف تنامر بالذهاب معنا رغم ما

سوف تلقاه من تعنيف آبيتنا بعد ذلك !

- هل تعنى انها اذا جاءت معنا .. ؟

- نعم .. سوف تأتى دون اذن من الوالد !

- اوه ! !

وعاد يونجى يقول بهدوء :

- سوف نرى على كل حال .. اذا كانت لها رغبة فى اصطحابنا ، فلن نستطيع احد ان يمنعا ..

ثم ارسل ضحكة مفاجئة ، مما جعل « آى - وان » يقول له :

- لماذا تضحك ؟

- لا لشيء معين .. اننى فقط لا احب ذلك الجنرال سيبكى وهز « آى - وان » كتفيه ، وانحنى على مكتبه ، وراح يستأنف العمل

العمل

وامضى ليلته بين الارق حينا والنوم حينا ، وهو لا يدرى هل

سندهب « تاما » معها الى الجبل فى الصباح ، او ستمتنع . وكان يدرك فى قرارة نفسه ان مصير حبه سوف يتقرر فى الصباح .. فاذا علم انها ستذهب معها ، فسوف يوقن انها تبادلته الحب ، او بعض الحب . واذا كان العكس ، فسوف يعلم انها لا تهتم بامرهم اكثر من انه مجرد صيف واين لصديق ابيها !

ولما رآها فى الصباح ، علم انها ستذهب معها .. فقد كانت تبدو ناضرة ، منتعشة ، ضاحكة السمات ، متألقة النظرات . وكانت مرتدية « كيمونو » من القطن المنسج ، من النوع الذى ترتديه الفلاحات او الفتيات الصاعدات الى الجبل

وقال لنفسه بقلب خافق ، وهو يتطلع الى عنقها العاجى ووجهها المتورد :

- انها سعيدة بهذا معنا ..

وسمعا تقول ليونجى بصوت كأنه التفريد :

- اين العصى يابونجى ! لقد اعددت طعام الغداء ، وبعض قطع الاقمشة لكى تلبس بها احدىنا عند تسلقنا الصخور

وبداوا معا رحلتهم ، كأنهم اخوان واخت . وفى أثناء الطريق ، اخذت الهواجس تنوش قلب « آى - وان » وهو يرى « تاما » تتنطق معها فى رشاقة وخفة ونشاط . لقد قرأ ان الفتيات العاشقات يعرضن من فرط الحب ، وتشحبح وجوههن ، ويبدو الابعاء فى كل حرركاتهن . اما هذه ، فانها تبدو فى حالة صحية كاملة تتم على انها غير مشغولة الفكر او القلب بشئ !

وارتسم القلق على وجهه ، حين وصل فى تفكيره الى هذه النتيجة .. ولكن سمات هذا القلق لم تلبث ان زالت امام جمال الجو فى ذلك اليوم ، وامام صحبات الاطفال الضاحكين الذين كانوا يلوحون لهم من الحفول ، وقد قال يونجى بصوت كله الابتهاج :

- ان الجو اليوم رائع ..

- الواقع اتنى لم ار فى اليابان يوما اجمل من هذا منذ جئت .. ! وقالت « تاما » :

- لا اظن انه يوجد فى اليابان - بل فى العالم كله - ايام كثيرة مثل هذا اليوم البديع

والواقع أن كل شيء كان يبدو في ذلك اليوم ضاحكا ، ينضج
 بالسعادة والبشر . وفي أثناء الطريق ، عندما انعطوا إلى ممر
 صاعد نحو الجبل ، فوجيء «آي-وان» بفئة قروية في ميعة الصبا
 - واقفة غريبة تماما في مياه جدول صغير كان يجري بجوار الممر -
 وكانت مياه الجدول لا تتكاد تصل إلى ركبتها ! وكان شعرها الأسود
 الناعم يتبدل على كتفها . ويحيط بوجهها الضاحك السميد . وكان
 « آي - وان » قد حلق فيها بسبب المفاجأة والدعشة قبل أن يتمكن
 ويبعد نثرانه عنها . ولكنه استطاع أن يرى في نظراته السريعة
 المفاجئة ، أن الفتاة لا تشمر بأى خجل أو ارتباك ، وكأنما الأمر
 طبيعي جدا . ولم يقل بونجي شيئا ، وانصت ترك . تاما . ترد على
 الفتاة ، وهي تهتف قائلا لهم :

- إلى أين أيها الأجزاء !

- إلى العيون الساخنة ..

- إنه يوم جميل مثل هذه الزهرة ..

وقالت « تاما » بعد أن ابتعدوا عن الفتاة :

- ما أجملها ، وهي واقفة هكذا وماء الجدول يداعب قدميها !

ووافقها بونجي قائلا :

- أجل .. إنها جميلة فعلا ..

وصولوا جميعا إلى الفندق الذي يقع بجوار العيون المسعدية
 الساخنة ، وهناك أمضوا فترة الصباح إلى الظهيرة في ضحك ولعب
 واستحمام وجرى بين الصخور الجبل . وكان « آي - وان » وبونجي
 يستحمان في العين العامة ، بينما حرصت « تاما » على الاستحمام
 في عين خاصة تحيط بها الحواجز .. ولعلها كانت تأبى أن تقع
 نظرات أجنبي مثل « آي - وان » على جسدها العاري

وعادوا إلى الفندق في ساعة الغداء ، وهناك وجدوا صاحبه قد
 أعد لهم الطعام في مكان خاص بشرف على الجبل والوديان الخضراء
 التي تتخللها ، ووضع « آي - وان » حشية بجوار النافذة ونال
 لـ « تاما » :

- يحسن أن تحلني هنا ، لأن هذا أفضل مكان ..

فقال ، وهي تريح نظراتها على وجهه :

- لسوف أجلس حيث تريد ..
 وأحس بالدوار في تلك اللحظة ، وهو يسمع نبرات صوتها التي

تنم عن الخضوع والاستسلام ..

وفي أثناء عودتهم إلى البيت ، راخوا يتسابقون .. فكانت تاما
 تعود كالطبي الشارد ، وكان الشابان يحاولان اللحاق بها . وفي
 إحدى المرات ، اندفع « آي - وان » سابقا بونجي .. وكاد في
 اندفاعه - بعد أن اقترب من تاما - أن يقع ويسقط ، لولا أن
 ملت هي يدها وأمسكت يده في قوة أدهشته

وكانت تلك أول مرة يلمسها فيها .. وقد فوجئ بما تنطوى
 عليه يدها من نقيضين : الرقة والقوة !

وعندما وصلوا إلى الطريق العام ، ووقفوا في محطة السيارة
 الحافلة التي ستحملهم إلى البيت ، قال « آي - وان » لـ « تاما » :

- هل استمتعت بهذا اليوم ؟

فأجابت بسرعة :

- أجل ..

- إنه بالنسبة لي أجمل يوم مر في حياتي ..

وانتظر أن تقول شيئا ، ولما بقيت صامتة ، قال :

- وأنت ؟

فأقلت :

- انني لا أدري تماما .. ولكنني أعتقد أن هذا اليوم ليس له
 مثيل في أيام حياتي !

وأيقن « آي - وان » عندئذ أن « تاما » تبادلته الحب !

في سكون الليل

وفي اليوم التالي ، قال بونجي لـ « آى - وان » :
- ان أبى غاضب منى ، تاما ،

وكان « آى - وان » جالسا الى مكتبه بالادارة ، لا يزال يحلم
باليوم السابق .. وكان فى أثناء الليل يسمح رذاذ المطر وهو
يتساقط على سقف البيت فيقول لنفسه :
- لا شك ان « تاما » تسعته الان ايضا ..
وفي الصباح ، راي الحديقة تتألق ناضرة مفسولة بامطار الليل ،
فقال لنفسه

- اير « تاما » الان ترى الحديقة كذلك ..

وكان يحس ان كل شىء تراه « تاما » يبدو فى نظره جميلا
ساحرا ، كما تسته عصا ساحر ..

ولكن كلمات بونجي جعلته يقيق من احلامه ، ويقول :
- غاضب منى ، تاما ، ؟

فقال بونجي ، وهو يعمل على الآلة الحاسبة :

- اجل .. ولكننا كنا نتوقع هذا على كل حال ، الا انه كان
قاميا فى تمنيته لها ، ولو اقتصر الامر على هذا ، لهات الكارثة ..
- الكارثة ؟ ! ..

- لقد ازداد اصرارا الان على ان يزوجها بالجنرال سبكي بعد
ان قال هذا الجنرال انه لم يعد يستطيع صبرا
ودار رأس « آى - وان » ولم يستطيع ان يقول شيئا . ومن ثم
استطرد بونجي قائلا :

- ولكنها لن تتزوج - ولو انتظر الف عام .. حسا .. علينا

ان نشحن اليوم الى أمريكا هذه الصناديق الخمسين من لعب الاطفال
العاجية

وتتم « آى - وان » بدعوى ، وقد احس بالجفاف فى حلقه :
- احقا انها لن تتزوجه ؟ !

- اوه .. اجل .. اتنا جميعا نعارض فى هذا الزواج ، وان
والدنى نعارضه ايضا .. ولكنها لا تستطيع بحكم التقاليد ان تعلن
عن معارضتها ، وانما تبدل جهدهما فى انتحال الاعتذار للتأجيل ، وهى
جد بارعة فى هذا ..

وعاد « آى - وان » يتمتم قائلا :

- ولكن لا بد ان يكون لهذا التأجيل حد ..

- نعم .. ولكن « تاما » لن تتزوجه .. انها لن تردد فى ان تقتل
نفسها ، اذا اضطرها والدنا على زواجها له .. انما نعرف هذا ، وهى
عقيدة الى اقصى حد .. رغم ما يبدو عليها من وداعة ولطف
وفيما كان بونجي يفتح احد الادراج ، قال له « آى - وان »

معانبا :

- اكل هذا يجرى فى البيت ، وانت ..

فضحك بونجي ، وقال :

- ان مشاكل الحب أصبحت شائعة الان .. ولايكاد يخلو بيت
منها فى هذا العصر الحديث . وطالما ان الكبار يريدون ان يفرضوا
ارادتهم . وان الصغار لا يكتفون عن الحب ، فان هذه المشاكل لن
تنتهى أبدا ..

ثم ضحك مرة أخرى ، وقال :

- ما عداى أنا .. فان هذه المشاكل لن تعرف طريقها الى ، لانى
قرر الا اقع فى شباك الحب !

ولكن « آى - وان » لم يضحك ، وانما قال فى ألم :

- لماذا يريد هذا الجنرال سبكي ان يتزوج « تاما » بالذات ؟ !
- اوه .. انه رجل واسع النفوذ والثراء ، ومن طائفة السامورى
وما الى هذا ، وشجاع فى الحرب ، ويريد ان يتزوج فتاة تتمتع
بصحة جيدة حتى يتحب أبناء اقوياء ، يحاربون من أجل الوطن
والامبراطور .. ان المعائن هنا يعدون الوطن .. والامبراطور !

- وهل من رأيك أن هذا ..

فأسرع يونجي يقول :

- اننى لا أرى شيئا ، او أفكر فى شيء يتعلق بهذا الموضوع ..
إن بعض الزملاء فى الجامعة ، كانوا يفكرون ويدبرون .. فاختفوا
تماما ، ولا يعرف أحد عنهم شيئا . إن جنود الجنرال سيكى هم
الذين يدخلون الجامعات ، ويقبضون على الذين يفكرون فى هذه
الأوضاع . انه لا يريد أن يخضع البلاد ونظمها الاجتماعية لانكار
الطلبة والمراقبين ، ولهذا رأيت أن أعيش سعيدا بعيدا عن هذه
المشاكل ..

فنظر « آى - وان » برهة الى وجه يونجي ، وقال :

- هل تعنى أن لديكم هنا ثورين ؟

- صه ! لا تنطق بهذه الكلمة هنا .. ان مجرد النطق بها قد

يؤدى بنا جميعا الى المنفى ، اننى لا احب الحديث فى مثل هذه
الشئون .. حسنى أن أقوم بعملى كما ينبغي

وانكب يونجي على مكتبه يعمل .. وظل « آى - وان » برهة يفكر
ويشعر بالندم لأنه لم يحاول فى اليوم السابق ، أن ينفرد بـ « تاما »
ويتحدث معها حديثا صريحا عن الحب والزواج ، ويلوح أن سعادته
فى ذلك اليوم ، جعلته ينسى كل شيء .. ومن ثم ، شعر أنه مضطر
الى الالتفات نحو يونجي ليقول له فى تردد وارتيك :

- يونجي ! ألا تستطيع .. ألا يمكنك أن تعاوننى على رؤيتها ..

اليوم ، اننى أريد أن أراها لامر هام

موقع يونجي راسه بسرعة ، وقال :

- اتعنى « تاما » ؟ لقد امرها أبى أن تسجن نفسها فى غرفتها
ثلاثة أيام ..

وأرتم الفرع على وجه « آى - وان » وهو يتصور حرمانه من
رؤية « تاما » ثلاثة أيام ، وتتم فى ذهول :

- ثلاثة أيام !؟

- لقد حدث هذا من قبل - فى الشتاء الماضى - عندما أعلنت
« تاما » عن رفضها الزواج بالجنرال سيكى - فالثقة انها سوف تطيع
أباها وتتزوج ، ولكنها سوف تقتل نفسها بعد ذلك . وكان أبى

يعلم فى قرارة نفسه ، انها سوف تفعل هذا حقا .. ومن ثم استبدت
به الغيب ، وامرها أن تسجن نفسها ثلاثة أيام فى غرفتها

فيعت « آى - وان » قائلا :

- اكان ذلك عندما قلت لى ان « تاما » متوقعة الصحة ؟

- أجل .. وان « تاما » عادة لا تعصى أباه فى المسائل البسيطة »

أما المسائل التى تتعلق بحياتها الخاصة ، كالزواج .. فانها تصر على
أن يكون لها رأيها الخاص فيها ..

ويعد فترة من الصمت ، عاد « آى - وان » بقول :

- ألا ترى ان مقدورى رؤية « تاما » بطريقة ما ؟

فحلق يونجي فى وجهه وقال :

- ماذا تقول ؟

- لا بد لى ان أراها ..

- لماذا ؟ ..

ولم يجب « آى - وان » وإنما اعلن عن ذات قلبه بالدماء الحارة

المضاعفة الى وجهه .. وأدرك يونجي الحقيقة ، فقال مضطربا :

- انك .. انك فى الحقيقة لا .. لا ..

- بل اننى متأكد من صدق شعورى ..

وعبر يونجي فمه ، ثم ضحك فجأة .. فقال له « آى - وان » :

- لماذا تضحك ؟

- هذا مضحك .. عجيب .. لقد أصبح بيتنا عش غرام .. أولا

أخى الكيو ، ثم « تاما » .. وانت .. كل هذا وابى لا يدري
شيئا !

- ليس فى هذا ما يثير الضحك !

- حسنا .. حسنا ، ! إذا اردت ان تجعل أبى يتعجل زواج

« تاما » بالجنرال سيكى ، فحاول ان تراها على انفراد !



ولما جلسوا جميعا لتناول العشاء ، كالمعتاد فى كل ليلة ، أحس

« آى - وان » أن كل شيء حوله قد غدا مختلفا ، مغيضا ، بسبب

غياب « تاما » .. وكان السكون يخيم عليهم جميعا ، كأنما يشعرون

هم أيضا بأن « تاما » هى روح المكان وزهرته العاطرة .. وفيما كان

أكيو بهم بالنهوض، قال له والده :

- هل مرغت من الحساب الشهري يا أكيو ؟

فقال أكيو بهدونه المعتاد ، وكتبته المألوفة :

- أجل يا أبي ..

- حسنا جدا ..

وبعد انصراف أكيو ، ووالدته ، قال المستر موراي لابنه بونجي الذي تعود الجلوس بعد العشاء ليتبادل الحديث مع « آى - وان » :

- بونجي .. انصرف الان لاني اريد ان اتحدث على انفراد مع « آى - وان » لقد وصلتنى رسالة من أبيه ..

وجعل بونجي قليلا ، ونظر الى « آى - وان » في ارتباك ، ولكنه لم يستطع الا ان ينحنى لآبيه ، ثم ينصرف في هدوء ..

وبعد ان ختم الصمت على الفرقة فترة غير وجيزة ، قال المستر موراي بصوته الهادى-اللطىء ، وهو يقرب الجمر في المدفأة بالمقناط الحديدى :

- ان والديك مسرور بما احرزت من تقدم في اعمالك هنا .. وكنت قد قلت له أنك تؤدى واجباتك على خير وجه ..

- شكرا يا سيدى ..

واستطرد المستر موراي في حديثه قائلا :

- وقد كتب والديك يقول ايضا ان الحالة مستتية في الصين ، وان العناصر الثورية قد قضى عليها تماما ، وان الشيوعيين قد طردوا الى الجبال

ولم يجب « آى - وان » بشيء ، فأردف العجوز يقول :

- يجب ان يسود النظام دائما .. وبدور هذا النظام والاستقرار لا يمكن لامة ان تتقدم . وهذا ما ينهى ان يعرفه الشبان .. ان تقدم الامم لا يكون بمجرد الرغبات والثرورات وحسب الظهور والجرى

وراء الرغبات ...

وصمت المستر موراي فجأة . ثم عاد ليعول :

- وبما أنك قد احسنت العمل هنا يا « آى - وان » وعرفت كل ما يمكن ان تعرفه من شئون الاستيراد والتصدير في شركتنا

باجراكي . فقد قررت ان ارسل بك الى يوكوهاما لتساعد ابنى

سيو في ادارته لفرع الشركة هناك . لقد آن لك ان تستكمل دراستك للجرء الثانى من اعمالنا .. وعدا هذا فان في يوكوهاما جامعة خاصة يمكنك ان تتم فيها دراستك العالبة . ولن نقيم في بيت سيو ، لانه متزوج .. وانما سنقيم في دار الشيباب حيث يعيش الكتبة العرب !

وهمس « آى - وان » قائلا :

- حسنا يا سيدى ..

ولكنه كان يتعنى لو استطاع ان يصبح بأعلى صوته قائلا :

« انتى اعرف غرضك الحقيقى .. أنك تريد ان تبعدينى عن « تاما » ولكن لماذا ترفض ان تتزوج ! »

ولم يستطع بطبيعة الحال ان لفظ بكلمة تعبر عن افكاره هذه ، ومن ثم استطرد المستر موراي يقول :

- ولما كانت عادتى ان انفذ فوراً ما يسنقر عليه رابى ، فانك سوف تسافر الى يوكوهاما غدا . ومن المصادفات الطيبة ان اكيو سوف يسافر ليوكوهاما ايضا غدا في رحلته الشهرية ليتبادل الراى مع أخيه في شئون العمل .. هل سبق لك ان ركبت الطائرة ؟

- لا يا سيدى

- آه ! اذن سوف يكون لك حظ ركوب الطائرات غدا لأول مرة .. ان الطائرات اليابانية ممتازة ، وستكون الرحلة ممتعة

وأوما العجوز براسه هذه الإيماءة التى تدل على ان المحادثة انتهت . وراى « آى - وان » ان يعرب له عن شكره على نجومه .

ولكن الكلمات وقفت في حلقه ، فلم يستطع الا ان يقول وهو ينهض للانصراف :

- طابت ليلتك يا سيدى ..

- طابت ليلتك يا ولدى ..



ورأى بونجي في انتظاره خارج الفرقة ليقول له :

- ماذا قال لك ؟!

- قال ان على السفر الى يوكوهاما غدا ..

ووقف الشابان بتبادلان النظر في صمت . ثم قال بونجي أخيرا :
- كنت اتوقع شيئا من هذا القبيل .. لقد كان كل شيء في جو

– أمي لا ادري لماذا يحل الناس مشاكلهم بالحرب رغم وجود وسائل اخرى كثيرة غيرها ..

ثم اردت فائلة :

– أرجوكم ان تتحدثوا عن موضوع آخر غير الحرب .. فليس ابغض الي من الحديث عنها !

ولما انصرف الشابان قال « آى – وان » لبونجى في دهشة :
– انها سيدة فاضلة كريمة .. وانه لعار ان يقاتلها والدك على هذا النحو !

فقال بونجى موافقا :

– اجل .. ولكن ، ماذا يمكننا ان نفعل ! انها كريمة فاضلة حقا ، ولكن ليس مقدرا لها ان تزوج آكيو ..!

فقال « آى – وان » مندهشا :

– هل تعتقد ان كل انسان مقدر عليه ان يتزوج فناة معينة !
– آه .. طبعاً ، طبعاً .. ان امي تقول هذا ، لا شأن للحب بهذا الموضوع لان نجم كل انسان هو الذى يحدد نوع المرأة التى ستكون زوجته . وقد اخطأ اخي آكيو لانه رفض الزواج من الفناة المقدرة له !

– اتعرف من تكون ؟

– نعم .. انها ابنة صديق لابي .. ولكن آكيو رفض ان يتزوجها ، ويقول ابن ان تمرد آكيو على القدر سوف يجلب النحس عليه يوماً !



وعاد « آى – وان » الى البيت ، واوى الى فراشه .. ولكنه لم يستطع ان ينام . لقد اخذ يفكر في « ناما » وفي سفره قبل ان يراها .. وفجأة قال لنفسه :

« ولماذا لا اراها ؟ »

ثم انتصب جالسا في فراشه ، واردف قائلا لنفسه :

– نعم .. لماذا لا اراها ؟ اننى لن اشعر بالراحة قط اذا لم اراها قبل السفر

واستبدت به الرغبة لرؤيتها .. وكان يعرف مكان غرفتها ، انها

البيت يوحى اليوم بأنه أبى غاضب . وانه سيتخذ اجراء ما ..

ولم يجب « آى – وان » بشيء . ومن ثم اردف بونجى قائلا :
– ماذا ستفعل الان ؟

– لا ادري .. اننى لا استطيع ان اوى الى فراشى ..!

– ان المطر يتساقط ، ولولا هذا لخرجنا نتمشى قليلا ..

– ان المطر لن يهمنى ..

وكان « آى – وان » يشعر بالالام باعتصر قلبه ، كلما فكر في انه سيسافر قبل ان يرى « ناما » . وقال بونجى :

– هلم نتردى معاطف المطر ..

وخرجا معا يسيران في اتجاه معين ، لم يسبق لـ « آى – وان » ان سار فيه .. حتى اذا بلغا بيتا صغيرا في ضاحية المدينة ، توقف بونجى وقال مشيرا اليه :

هذا هو بيت آكيو يا « آى – وان »

– بيت آكيو ؟ ..

– اجل .. حيث تعيش سيومى .. اتحب ان ندخل ؟

– انزى هذا ؟

– لماذا لا ؟ .. ان علاقتى بسيومى طيبة جدا .. بل ان امي وناما كثيرا ما يزورانها من وراء ابى .. انها سيدة لطيفة طيبة جديرة يجب آكيو لها ..

وادرك « آى – وان » ان صاحبه لم يكن ميالفا في حديثه عن سيومى حين رآها تستقبلهما باسمه في ترحاب . وكانت سيدة قصيرة القامة ، بدنية ، ضاحكة الوجه ، خفيفة الحركة .. وقد وجد آكيو جالسا على الحصر في غرفة كبيرة بجوار ادوات النساى ، يقرأ صحيفة المساء . وكان آكيو الجالس في بيته الخاص ، يختلف اشد الاختلاف عن آكيو الصامت المكتئب الذى قلما تنفرج شفاه عن الابتسام . لقد كان آكيو في بيته لا يكاد يكف عن الحديث معهما والابتسام لهما ، ومداعبة سيومى .. وكان هادئا في حديثه ، حتى وهو يتحدث عن الحرب قائلا انها شيء سخيف يدل على حماقة البشرية ، وفدردت سيومى على حديثه عن الحرب ، وهى تقدم النساى للشابين فائلة :

في الجانب الآخر من البيت .. بعد غرفة والدها . ويعرف أيضا ان المستر موراكى لا يطبق هواء الليل ، قائلا انه سام ومضر .. ومن ثم هو يحرص على اغلاق الحواجز المؤدية الى الحديقة ، أما « تاما » فقد قالت ذات مرة انها لا تشبع من هواء الليل ، ولهذا فهي تترك الحواجز مفتوحة في ليال كثيرة ..

وكان يعرف أيضا ان غرفتها تقع في مواجهة السلالات الصناعية ذات الخريز العذب .. في مواجهتها تماما . وكانت قد تالت ذات مرة ان ابائها طلب منها في عيد ميلادها الماضي ، ان تحدد الهدية التي تريدها .. فقالت انها تريد الإقامة في الفرقة المواجهة للسلالات حتى تنام وتصحو على خريز المياه وهي تتناقل على الصخور ا وخطر ببال « آى - وان » ان في مقدوره ان يهتدى الى غرفة « تاما » عن طريق خريز المياه المتناقلة امامها .. فماذا عليه لو انه سار في ظلام الحديقة ، وتحسس طريقه الى غرفتها ؟ ..
لماذا لا ؟!

الم يستطع آكيو ان يصر على وغيابته ، وان ينال ما يريد ؟ فلماذا يتردد هو ؟ ونهض من فراشه ، وتقدم الى حديقته الخاصة .. ثم دلف منها الى الحديقة العامة ، وسار في خطوات حذرة ، مطمئنا الى ان أحسدا لن يراه في ذلك الظلام الدامس . وبعد ان تجاوز غرفة المستر موراكى ، واطمان الى اغلاق حواجزها المظلمة على الحديقة ، سسار نحو السلالات حتى لمس يده مياهها . ثم استدار ومضى في خط مستقيم الى ان لمست يده سبياج الشرفة المؤدية الى غرفة « تاما » . وهناك قبع لحظات يرهف السمع .. واستنطق اخيرا ان يسمع زفرة حرى ، وصوت يد تلقى على الحصى .. انه لعلها نائمة ، او لعلها تحلم انشاء نومها . ولكن لا .. انه يسمعها وهي تتنهد مرة اخرى بصوت يدل على انها في تمام اليقظة وطرق بأصبعه المعقوفة على الحواجز قى حذر شديد ، ثم تريت .. وعاد بطرق مرة اخرى بعد ان اطمان الى ان احدا خارج الفرقة لم يسمعه . ولح من وراء الحاجز الشفاف خيالها وهي تنهض ، وتلتف بثوبها ، ثم ترهف السمع .. وخشى ان يستبد بها الخوف، فهمس قائلا :

« تاما » ! ..

وسرعان ما انزلق الحاجز ، ثم بدت « تاما » راكعة امامه ، تقول في همس :

« آى - وان » !

فقال متوسلا :

« تاما » .. صفحا .. اتنى ساسافر الى يوكوهاما غداصباحا .. ولا ادري متى سأعود يا « تاما » .. وكان بونجي قد اخبرنى ان اباك غاضب منك ، وامرك بالتزام غرفتك ثلاثة أيام . اتنى لم استطع ان اسافر دون ان أراك !

« ولكن .. ولكن أبى سوف يعيدك الى الصين لو شاهدك هكذا - انه لن يشاهدنى .. اطمننى .. تاما » .. أرجسوك ان تستلمدىنى ..
« اساعدك ؟ ..

« لا تكونى يابانية يا « تاما » .. وانما كونى انت فقط - كما ساكون أنا - لاندى التقاليد تعلا حياتنا بؤسا .. لقد كنا سعيدين أمس .. أمس فقط .. اليس كذلك ؟!

« آى - وان » كنا سعيدين حقا ..

« تاما » .. لقد ذهبت الليلة مع بونجي لزيارة آكيو . آكيو وسيومى ، ولشدهما أنا معجب بآكيو يا « تاما » .. انه لا يدع احدا يتدخل فيحياته الخاصة . ثم يجب على الناس ان يتذرعوا بالشجاعة ، ماداموا على حق ..

وقالت « تاما » هامة :

« اتنى .. اتنى لا ادري .. لقد فاجأتنى يا « آى - وان »
« اقتسرنى يا « تاما » .. دعينى المس يدك .. لا تنسى آتى سارحل غدا ..

ورآها تطفىء القنديل الصغير في الفرقة ، ثم تقول وهي تضع يدها في يده :

« آخشى ان يرانا احد .. أرجوك يا « آى - وان » . لو شاهدنا احد : فسوف يكون مصرى رهيبا ..

وكان « آى - وان » يعرف هذا ، حتى في الصين . كان يعرف :

أن الفتاة التي تضبط متلبسة بمقابلة شاب غريب عنها ليلا يكون الموت مصيرها !

وهمس قائلا :

– اننى لن امكث هنا طويلا يا « تاما » .. اريد فقط أن اتحدث معك بشأن الجنرال سيكى .. انك لن توافقى على الزواج به .. اليس كذلك ؟

فقالت فى حزم :

– ابدا .. !!

– آه .. لقد اسعدتنى يا « تاما » .. لسوف اعود يوما .. .
حتما

– وسوف تجدىنى فى انتظارك يا « آى – وان »

– اجل يا « تاما » .. لا تزوجى احدا غيرى .. تزوجىنى انا فقط !

وسمعها تهمس فى اذنه قائلة :

– لن اتزوج احدا غيرك !

وأحس بالاختناق من فرط السعادة ، ولكنه قال :

– اتزين هذا الظلام الذى يشملنا .. انه كتارة خاصة لنا !
– انه روح طيبة أرسلتها السماء من اجلنا ..

– انسمحين لى بالكثابة اليك يا « تاما » .. ان لدى الكثير
مما اريد ان اقوله لك ولكن .. لا .. كيف ارسل خطابتى اليك ؟

– ارسلها الى سيومى ، وسوف تحتفظ بها من اجل حتى اذهب لزيارتها ..

فهتفت فى سعادة بالغة :

– آه ! ما اجمل هذا .. ان ذلك لم يخطر ببالى وانا ازورها ،
ولكن الإقذار ، كما يبدو نحايينا ..

فقالت بجد ووقار :

– اجل يا « آى – وان » .. انها الإقذار .. انها معنا ..

وأحس بالرغبة فى البكاء وهو يقول :

– انها معنا يا « تاما » لاننا مخلصان فى جيتنا .. لان الهدف من
هذا الحب شريف ومشروع ..

الفصل التاسع

المأساة ..

لبه آى – وان ، الطائرة من ناجازاكي مع آكيو . وكانت
مائة ركاب كبيرة ذات ثلاثة محركات . وقد مال آكيو أنهم
سيكون طائرة اخرى صغيرة بعد عبورهم البحر . ومن نافذة
الطائرة كان « آى – وان » يرى جزيرة كيوشو فى ناجازاكي .
وهى الجزيرة التى يقع فيها بيت المستر موراكى . وقال
« آى – وان » لنفسه وهو يرنو الى الأرض الخضراء المعتدة تحته :
– هناك .. فى مكان ما .. تقم جيبتى « تاما »

وأشار آكيو الى سلسلة من القلاع والحصون والتحصينات
القوية على طول الشاطئ ، ثم قدم منظاره المكبر الى « آى – وان »
وقال له :

– هل ترى هذه السلسلة من الاستحكامات القوية التى تواجه
الشرق والجنوب والغرب !

– نعم .. ولكن يبدو أنكم تسرفون فى هذه التحصينات ، وكانكم
توقعون أن يهاجمكم الأعداء من كل ناحية ؟

فضحك آكيو وقال :

– عندما يجد شعب صغير نفسه ، بين شعوب قوية كثيرة
العدد تعاديه ، فلا يسهه الا الاستعداد دائما للدفاع عن نفسه ..

– وهل توقعون أن تقوم حرب بينكم وبين غيركم ؟

فتردد آكيو برهة ثم قال :

– اعتقد هذا .. ار على الأقل هذا ما تعلمناه دائما فى المدارس ،
وهو أن علينا أن نتوقع نشوب الحرب فى أية لحظة

ولما ركبا الطائرة الأسطر حجما ، قال « آى – وان » ردا على

حدثت آكيو بشأن الحرب :

- بلوح لى انكم تسرفون فى الاستعداد لحرب لم تقع بعد !
- هذه قلفتنا ..

فسأله « آى - وان » فى فضول :

- هل تريد حربا يا آكيو ؟

فقال آكيو ، بعد ان تردد برهة ، كان خلالها يصح زجاج نظارته :

- لا .. انتى لا اومن بالحروب . ولعل هذا يرجع الى انى
اعتنق الديانة البوذية التى تحرم قتل الاحياء لاي سبب ..

- ولكن اذا جندتك الحكومة للقتال ؟

فتردد آكيو برهة ثم قال :

- انتى لم استغر بعد على راي فى هذا الشأن

وبدا على آكيو من الاضطراب والقلق ماجعل « آى - وان »
يسرع الى القول معتذرا :

- لا داعى للقلق .. انه سؤال سخيف !

وساد الصمت بينهما بقية الرحلة .. وكان « آى - وان » مشغول الفكر بحبيبتيه ، يدبر فى ذهنه العبارات التى سوف يكتبها اليها فى رسالته الاولى .. وكانت هذه الكلمات قد بدأت تتلور فى ذهنه « عندما اخذت الطائرة تحلق بين السماء ، كنت استعمر انى تركت على عتبة غرفتك قلبى كطائر كبير الجناح .. »

واقام من احلامه عندما هبطت الطائرة فى مطار يوكوهاما .. وكانت يوكوهاما مدينة تجارية ناصية بالحياة المازرة النائرة ، ولم تكن فيها منازل ذات حدائق عناء ، ولا مقار المراحة والهدوء . وانما شوارع مزدحمة بالمارة ووسائل المواصلات ، وبيوت حقبضة كبيرة المساحة ، كلها ديمعة الشكل ، مشيدة بالاسمنت ، ومن طابق واحد . ولما سأل « آى - وان » صاحبه آكيو عن السرى فى هذا ، قال له :

- انها بيوت مضادة للزلازل .. فقد حدث منذ عهد قريب زلازل هدم كل منازل المدينة ومنشاتها .. ولكننا معشر اليابانيين لا نعرف اليأس ، نعدنا منشأها من جديد . ولكن حرصنا هذا

المرة على ان تكون جميع البيوت والمنشآت ذات طابق واحد ، ومن الاسمنت المسلح ، وعلى مساحة كبيرة ..

□

وكانت ادارة شركة «موراى واواده» تقوم فى بناء من هذا الطراز الدميم الشكل . ودخل « آى - وان » مع آكيو الى غرفة الاستقبال التابعة لمدير ذلك الفرع ، سيو ، واسرعت السكرتيرة اليابانية ، وكانت سيدت قصرة ديمعة ذات نظارة سمبكة ، تعلن قدومهما الى المدير سيو موراى ..

وبعد لحظات من الانتظار ، شاهد « آى - وان » رجلا فى نحو الثامنة والثلاثين ، يدينا قصيرا ، ملوح البشرة ، اسلغ الراس ، يخرج من غرفة مكتبه ليودع عميلا امريكيا كان معه .. وكان يقول له فى تلك اللحظة :

- حسنا باموراى ! انفتنا .. ولكن اية خسارة او تكسر سوف تحمّلها شركتكم ..

فقال سيو بصوت مرتفع واضح :

- لى تحدث اية خسائر اثناء الشحن .. اطعش

وبعد انصراف العميل الامريكى ، اتجه سيو الى اخيه آكيو ، وقال له باسم :

- هاه ! كيف حالك ؟

ورد آكيو قائلا وهو ينهض فى احترام :

- بخير .. هذا هو « آى - وان »

واينسم سيو مرة اخرى ، وقال :

- هاه ! لقد كتب ابنى عنك ، ويبدو انه شديد الاعجاب بك .. فضلا بالدخول الى المكتب ..

وفى غرفة المكتب ، قال سيو لايه آكيو ، بعد ان رحب مرة اخرى « باى - وان » :

- كيف حال الاسرة جميعا يا آكيو ؟

فنظر آكيو بطرف عينه الى « آى - وان » ثم قال فى تحفظ :

- بخير ..

وتناول « آى - وان » احدى الصحف ، وتظاهر بالانشغال

قرأها حتى شبح للاخوين ان يتحدثان بحرية .. وفي اثناء حديث
ابو مع اخيه عن شئون الاسرة ، سمعه « آى - وان » يقول :
- ولهذا فان ابي غاصب عليها جدا ، وقد قرر ان يقول
للجنرال سبكي ان الزواج قد يتم في اى يوم ..

واحد « آى - وان » عندئذ بالارض تميد تحت قدميه ،
فوضع الصحيفة في اعباءه وقد ارداد وجهه شحوبا ، ويبدو ان
سيو لاحظ ما طرا عليه من اعباء ، فقال له :
- يمكنك ان تذهب الى غرفتك الخاصة اولا لتستريح ..

- ارجو هذا .. وشكرا ..

- لا داعي لان تستعجل .. تناول طعامك ، واسترح بقية اليوم .
ان لدينا اشغالا كثيرة ، ويمكنك ان تستلم عملك غدا صباحا ..
وتأكد ان العمل هنا موفور لان الكتوز نهال علينا من جميع اثناء
الصين ..

وتسائل « آى - وان » في نفسه : « ما معنى هذا ؟ »

وصحبه السكرتيرة الدميعة الشكل الى بناء قريش من مركز
الادارة ، حيث يقم الكتبة والموظفون المزاب . وكان ايضا بنساء
ضد الزلازل ، مكونا من طابق واحد ، يحتوى على عشرات من
الشرف ..

وتناول احد الكتبة المشرفين على ادارة دار الإقامة مفتاحا ،
وسمعه يقول له :

- القرفة الحاذية والخمسين ..

ووجد في تلك الغرفة سريرا ، ومقعدا ، ومكتبا ، ودورة مياه
صغيرة ملحقة بها ، وكانت الجدران والأرضية مشددة كلها
بالاسمنت ..

وبعد ان جلس برهة مستغرقا في التفكير ، وتب الى مكتبه وراح
يكتب الى « تاما » خطابا كان يرجو ان يصل الى ناجازاكي في نفس
الطائرة التي جاءت به . وقد استهل خطابه بقوله :

« تاما .. لقد سمعت خيرا مزجعا اشاع في نفس الاضطراب »
ثم راح يكتب لها بحرارة قائلا ان عليها ان تلتصق اى مخرج ،
وانه في انتظار ردها لان يستطيع ان يعرف طعم النوم او

الراحة او الاكل حتى يطمئن ..

ونهب في الصباح على شحكات زملائه المتيمين في العرفات
الاخرى ، ولم يلبث ان اغتسل ، وارتدى ملابسه ، وتناول طعام
الافطار في المطعم المحقق بالدار ، ثم مضى الى مكتب سيو ، حيث
وقف ببابه مترددا عندما رأى سيو منتكبا على مكتبه . واخيرا
سعل سعلة خفيفة .. فرجع سيو راسه ، وابتسم له في رفق ،
ثم قال له :

- سعدت صباحا .. ارجو اذا سمحت ان تمضي مع سكرتيرتي
لكي تسلمك عملك ومكتبك الخاص . وهذه هي قوائم السلع
الواردة الينا اليوم ، ارجو ان تظاهيها بما ستحملة السفن اليها
من الصين اليوم .. اذا وجدت اى اختلاف فاطلب منى مساعدتك
وشكركه « آى - وان » ، وسار مع السكرتيرة الى غرفة كان بها
نحو ثمانية من الكتبة الموظفين .. لم يحاول احدهم ان يرفع راسه
عن عمله ، لكن يرى هذا الزميل الجديد . ولكن هذا لم يكن
يعنهم من اختلاس النظر اليه من وراء نظاراتهم السمكة ، بين
الحين والآخر ..

وجلس هو مستغرقا في افكاره برهة .. ولكنه لم يلبث ان اتفقا
على صوت رجل واقف في باب المكتب ، يقول له في رفق :

- آه .. هل انت المستر « آى - وان » الموظف الجديد ؟

- اجل ..

- هل استلمت عملك ؟

وادرک « آى - وان » من هذه العبارة ان عليه ان يقوم بعمله
مادام قد استلمه ، فانضطرب وجهه خجلا ، وانكب على عمله ..



ووصل خطاب « تاما » بعد ثلاثة ايام . وقد قالت له فيه :
« علينا ان ندرع بالصور ، ولا شك اننا لن نسال الا ما قدرته
الحياة علينا »

وفي رسالة اخرى ، قالت له ان امها تبذل جهدها لتنجيل
الشروع في زواجها من الجنرال سبكي ، وان جعبة امها في التماس

الإعذار ، وانتكار أسباب التأجيل ، لم تفرغ بعد !
وأطمأن « آى - وان » بعض الشيء ، حين أيقن أن « تاما »
لا تقف بمفردها في هذه المعركة ..

وظل طيلة عام كامل ، وهو يرسل إليها الخطابات بانتظام ،
وكانت رسائلها إليه دائما ذات طابع واحد : قصيرة ، ورفيعة ،
وخالية من الاستطراد . وكانت تطالبه فيها دائما ان يتدبر
بالبصبر ، وان يثق تماما ان الانسان لا يمكن ان يتألم الا ما تريد
الأقدار له !

وكان ذلك العام الذى أمضاه « آى - وان » فى بوكوهاما من
أطول وأقسى الأعوام التى مرت في حياته . ولم يكن يفتنه فقط
شوقه الدائم الى « تاما » ، وإنما كان يفتنه وبحيره أيضا ذلك
السيب الذى لا ينقطع من كتوز بلاده الذى كان نهال على تجار
اليابان ، وشركات الاستيراد والتصدير

وكان رغم قيامه بعمله على الوجه الأكمل ، لا يملك نفسه من
التساؤل : لماذا تعطل بلاده في هذه الكتوز التى لا تقدر بشئ !
هل الحكومة هى التى تجمعها وتبيعها للشركات اليابانية من أجل
الحصول على حاجتها من المال ، أو ان الحاميات اليابانية الموجودة
في شمالي الصين هى التى تهيب هذه الكتوز وترسلها الى الشركات
اليابانية ؟

وفي ذات يوم ، عاد الى غرفته في دار الإقامة بعد ان فرغ من
أعماله ، فإذا هو يجد سديته بونجى موراكى راقدًا في فراشه !
وتسمر في مكانه برهة ، وهو يرى بونجى للمرة الأولى بعد عام
كامل .. وكان قد فوجئ بما عليه من دمامة شكل ملفتة للنظر ..
انه لم يكن يرى بهذه الدمامة من قبل .. أما الآن ، فانه يراها
واضحة وكان المسكين « يهلوان » في سيرك كل مهمته ان يضحك
الناس من دمامته !

لقد حين انه يشاهد بونجى لأول مرة ، بقامه القصرة ،
وساقبه القويش ، وشعره الشائك ، ووجه الاسمر الشاحب ،
وانفه المرص المفلطح ، وعيبيه الصمغين ، وقمعه الواسع ،

وأسنانه البارزة ، مما جعله أقرب الى الفرد منه الى مخلوق
أدمى !
وبلوح ان بونجى احس به ، اذ انصب جالسا ، وقال هانغا :
- اوه .. هل حضرت يا « آى - وان » ؟
- لماذا جئت ؟ ..

فتشاءب بونجى ، كأنها استيقظ لتوه من النوم ، وقال :
- لا ادري .. لقد جئت انا وأكيو بعد ان صدرت الأوامر الينا
لتقدم انفسنا الى ادارة التجنيد العسكرية في طوكيو . وقد وصلنا
الى بوكوهاما منذ نصف ساعة ، فقررنا ان آتى اليك لنلتو معا
بعض الوقت قبل ان نواصل السفر ..
- وأين أكيو ؟

فضحك بونجى كعادته ، وقال :
- لا ادري .. لقد جاءت معه سيومى .. ولعلهما الآن يفرحان
على بركان « فونجى - سان » في ضوء القمر
ثم اردف قائلا بعد ضحكة اخرى :
- انهما يحيان « فونجى - سان » ، وقد اعتادا ان يصعدا اليه
في كل صيف مرة ..

- ولماذا استدعيتما ادارة التجنيد في طوكيو ؟
- هذا ما سوف أسأل السلطات المسؤولة عنه .. ان كبار
العسكريين يخونون ان يستدعوا الاحتياطي مرة كل عام ليظنوا
على لياقتهم العسكرية .. اهم لا يفترون الا في الحرب فقط . والان
.. ما رأيك لو قضينا السهرة في ملهى ليلى ؟
ولم يسع « آى - وان » الا ان يقبل ..

وبعد ان عاد في منتصف الليل ، قال « آى - وان » لبونجى :
- بونجى .. ماهى اخبار « تاما » ؟
- كنت انتظر منك هذا السؤال .. لقد اعطتني خطابا ، وطلبت
منى ان اسلمه اليك ، بعد ان اذكر لك ما لدى من انباء عنها ..
ونناول من جيبه مظروفا صغيرا ، وقال وهو يقدمه الى
« آى - وان » :

- ان آخر الابناء عنها ، في ايجار ، هى ان ابي قد قرر اخيرا ان

تنزوح الجنرال سيكي في خلال هذا الشهر .. !
وانتزع « آى - وان » الرسالة وفضها بيدى مرتدتين ، وقد
شحب وجهه ، وأحس كأن أصابع رهبية تعصر قلبه !

وقرا في الرسالة ما يلى :

« آى - وان » .. قلت لك مرة اننى لن أتزوج احدا غيرك ..
ولكن ابى أخيرنى ان الحرب أوشكت ان تنشب بيننا وبين الصين .
وهذا يقلب كل شىء رأسا على عقب .. حتى والذى أصبحت تقول
ان واجبى نحو وطنى والامبراطور ، يحتم على الزواج من الجنرال
سيكى الذى سيمضى لبحارب في سبيلنا جميعا . ونحن اليابانيين
قد نشأنا على تعديس الواجب .. هكذا شاءت الأقدار : « تاما »

وانعقد لسان « آى - وان » برهة عن الحديث ، ولكنه استطاع
أخيرا ان يقول بصوت مختنق :

« ابهما اسرع في الوصول الى ناجازاكي .. القطار ام الطائرة ؟ !
.. لماذا ؟ ..

« لانى اريد رؤيه « تاما » في اسرع وقت ..

فهر بونجى كتفيه ، وقال :

« اننى مسافر غدا لاسجل اسمى .. ويعتقنى ان احمل اليها
خطابا منك اذا شئت . وهذا في رأيى ضمن وأجدى ؛ لانك لا تستطيع
ان تنفردى .. « تاما » حتى لو سافرت اليها ..

فعلق « آى - وان » صديقه وشكره بحرارة ، فابتسم الشاب ،
وقال :

« الواقع اننى افضل كثيرا ان تنزوج انت اخى ، على ان تقضى
حياتها الناضرة لمخ ذلك المعجوز المنعرج .. دعنى استغرف في
النوم الآن . لان على ان أصحو مبكرا ..

وكتب « آى - وان » رسالة الى « تاما » قال فيها انه لا يستطيع
بأية حال من الاحوال ان يجعل هذه الخلافات بين بلديهما تؤثر في
حياته ، وتقضى على سعادته ، وان هذه الحرب التى تحدث الصحف
عنها ليست المناوشات بسيطة ، لن تلبث ان تنتهى بالصلح ..

وفي الصباح ، افترق الصديقان ، فذهب « آى - وان » الى
ادارة فرع الشركة ، ومضى بونجى يلحق بقطار التاسعة المسافر

الى طوكيو ..
وظل في مكتبه بالإدارة نحو ساعة ، وهو مستغرق في التفكير ،
حتى سمع فجأة صوت انسان يركى وبصيح . وأدرك فورا انه
بونجى ، فأسرع اليه ليراه في حالة يرثى لها من الحزن والبكاء .
فلما ساله عما ألم به - قال بونجى وهو يشفق :

« ابن سبو .. ابن سبو !

« اننى لم اراه بعد .. ماذا حدث يا بونجى ؟ .. ماذا حدث ؟

وكان بونجى ممسكا بخطاف معنوح في يده ، مقدمه الى « آى - وان »
وهو يقول باكيا :

« ايه اخى آكيو .. آكيو .. افرا هذا

واختطف « آى - وان » الخطاب ، وقرا فيه ما يلى :

« الى ابي ، وامى ، واخوتى .. لقد فكرت طويلا فيما انا مقدم
عليه . اننى اعرف لماذا استدعيتى الحكومة لسجل اسمى ، انها
تريد ان تعثى بى وامنائى الى الصين لبحارب . ولكننى لا ارى
سببا يدعو لى ان اسفل اناسا ارباء في بلادهم . ومع ذلك فلو
رفضت الذهاب سوف امسر حياتنا وخائنا . ومن ثم قررت ان
اموت مع سبومى في فوجه بركان « فونجى - سان » . وعندما
تقراون خطابى هذا ؛ تكون قد انتقلنا معا من هذه الحياة الى حياة
اخرى .. »

وغمغم « آى - وان » في دهشة وحزن :

« مى ؟ متى حدث هذا ؟

« عندما وصلت الى المحطة لاسلم تذكرة سفرى ، ناولنى الموظف
هذا الخطاب . وقال انه تركه لى . ولا قرأته انفجرت باكيا ، ولكن
احد الضباط الواقفين قال - بعد ان عرف الامر - ان آكيو خائن ،
اقه ليس من حق ان يتصرف بحياته على هذا النحو !

وقال « آى - وان » بصوت خافت ، حين عاد بونجى الى البكاء
بحرقه :

« وهل عرف سبو بالاساة ؟

« لا .. لم يعرف بعد .. اننى جئت لآخبره ..

ولما علم سبو نوما حدث ، قال والدموع تملأ عينيه :

دماء الحب

كانت راکعة على ركبتيها بهدوء ، وراء والدتها ، عندما أخذ
« آى - وان » يذكر لهم مباحث « وكان المستر موراكى قد
استقبله أولا على انفراد ، فلما علم بالامر ، استدعى زوجته
وابنته ، ليستمعا أيضا ما حدث . وفيما كان المستر موراكى يقرأ
خطاب آكيو ، كانت الدموع تنهمر من عيني المستر موراكى في صمت
وسكون

وأخيرا قال الوالد بهدوء :
- لن نقيم العداد على ابن عاق لابنه ولا امبراطوره .. ولا أحب
أن يذكر احد اسمه أمامي بعد اليوم !

وأردف قائلا ، بعد برهة صمت :
- هذا هو كل شيء .. اما انت يا « آى - وان » فلا شك انك
تحتاج الى الراحة . . لسوف نبيت ليلتك هنا قبل أن تعود الى
بمك غدا

وقال « آى - وان » وقلبه يخفق بقوة :

- شكرا يا سيدى ..

انه يعرف الطريق الى غرقة « تاما » ليلا .. وانه يعرف ماذا
سيقول لها بدلا من ان يكتب خطابا ، ويتركه لتقرأه ..

وقالت الوالدة في خضوع لزوجها :

- هل تسمح لنا بالانصراف اليها السيد ؟

وأوما المستر موراكى برأسه . وحول « آى - وان » بصره
سرعة نحو « تاما » ، فراها تنظر اليه بعينين دامعتين ، ولكنه
ح في نظراتها الحب والتوسل ، فأدرك انها تنتظره الليلة ..

- كنت اعرف أن آكيو سيفعل هذا يوما .. لقد طالما قال لي انه
يفضل أن يقتل نفسه ، على أن يقتل شخصا آخر بريئا ، وبلا ميرور
معقول !

ثم أردف قائلا :

- عليك ان تمضى الى والدك يابونجى لتخبره بالمساة ..

فنهز يونجى رأسه ، وقال :

سائنى لا أستطيع .. لقد منحنى رئيسى هذه الساعات القليلة
لاخبرك بالمساة .. وسوف امضى من طوكيو - كما علمت - الى
منشوربا راسا حيث اصلها في خلال ثلاثة ايام ، هذه هى الاوامر
الاخيرة ..

ثم أردف قائلا بحزم :

- ويجب ان اطيع هذه الاوامر لانى يابانى مخلص

وقال « آى - وان » مشفقا :

- اننى اقدر مشاعرك يابونجى ..

ثم خطرت بباله فكرة سريعة ، جعلته يلتفت الى سيو ، ويقول :
- اذا اردت ان تنق بى وتجعلنى اذهب الى ابيك ، بدلا من
يونجى ، فانى على استعداد لهذا ..

وكان يشعر في تلك اللحظة ، ان يد الاقدار تحرك خيوط مصر
حبه لـ « تاما » ..

وقال سيو بعد برهة صمت

- اذهب اذن .. واطلب من أبى ألا يشتد غضبه على آكيو

وهكذا فتمت هذه المساة الطريق لـ « آى - وان » نحو « تاما »
من جديد

في منتصف الليل ، وقف امام باب غرفتها المفضي الى الحدائق
وانتظر في تلك الليلة ساطعا ، فحرص على ان يحتسى وراء احد
الاسند: الحشيشية التي تقوم عليها الشرفة .. وما كاد يتغير بروف
على الحاجز . حتى انزلق بسرعة ، واذا « تاما » واقفة امامه وقد
بدا وجهها في ضوء القمر شاحبا . ووضعت اصبعها على فمها ،
وانساب عطرها الى انفه ، ثم الى قلبه .. وسمعها تهمس في اذنه
قائلة :

— هلم تقف في ظلال الشرفة

وكان همسها ارق من رفرقة جناح طائر .. وتقدم معها نحو
ظلال الشرفة ، ثم مد ذراعيه وضمها الى صدره بكل ما في قلبه من
حب وشوق ولوعة . وكانت تلك اول مرة يضم فيها فتاة الى
صدره ، ويحس بجسمها ملتصقا بجسمه . وبقيتا متعاطقتين برهة
طويلة دون ان يتحركا ، واخيرا انفصلت عنه وهي تقول بانفاس
لاهثة :

— تصور انني كنت انوي الازاك ، او الفاك ابدا ، يا «آي-وان»!
— هذا هو المستحيل يا « تاما » .. لانك اينما ذهبت كنت
ستجديني امامك ..
— كيف .. كيف ؟
— انه الحب يا « تاما » ..
— ولكن الحرب ...
— لن تكون بيني وبينك ابدا يا « تاما »
— لا .. لا .. لا استطيع .. يجب ان اودي واجبي نحو ابي
وطن ..

فهمس بحرارة قائلا :

— ليس هناك واجب يحتم عليك الزواج برجل عجوز تكريهته ..
هذه جنابة وليست واجبا !

فقالت متوسلة :

— لا يا « آي - وان » .. ان كل شيء يتغير هنسا في حالة
الحرب .. ان على الرجال ان يجاربوا ، وعلى النساء ان ينجبن
الابناء ..

فقالت معايبا :

— « تاما » ؟ اهذه آراء ، فتاة عصرية ؟ !

— لا .. ولكن ماذا في وسعنا ان نفعل ؟

فضمها الى صدره مرة اخرى بقوة ، حتى شمر بقلها يخفق مع
قلبه ، ثم قال :

— سنهرب معا .. سنهرب الى مكان ما في العالم ليست به
حروب ، وليست فيه فوارق انسانية .. الى مكان تعيش فيه حبيبتين
وزوجين !

— ليس في العالم مكان كهذا يا « آي - وان » !

— بل فيه .. عديني فقط الا تنزويجته ، وسوف ادبر كل شيء
من اجل سعادتنا

وتعدلت سمعا وفع اقدام خفيفة في الحديقة ، وتكسر غصن
شجرة ، فاستبد بهما الرب ، وتعلق كل منهما بالآخر برهة . ولما
رأت « تاما » والدها مقبلا في ضوء القمر ، أمسكت بذراع «آي-وان»
وجذبت الى غرفتها ، واعادت الحاجز الى مكانه ، ووقفت معه وراءه
كأئمة انفاسها . وتقدم الوالد نحو الشلالات ، ثم سمعاه يتوقف
برهة وينهد ، ثم اذا بخطواته تبتعد الى الجانب الاقصى من
الحديقة ..

وقالت « تاما » في خوف :

— انصرف الآن يا « آي - وان »

فقال وهو يقبل وجنتها العاطرة :

— عديني الا تنزويجى الجنرال العجوز ..

— اوه .. أرجوك .. أرجوك ..

— عديني على الاقل ان تنتظري حتى نعلم هل هي حرب حقيقية او
مجرد مناوشات بسيطة

واحسن بشفتيها الورديتين على خده وهي تقول :

— أعدك بهذا ..

وانقلت مسرعا الى غرفته ، وقلبه مغمم بالرضا ..

بعد أن تناول « آي - وان » طعام الإفطار في صباح اليوم التالي،

مضى الى الغرفة التي خصصها المستر موراكى لاستقبال الضيوف ، وجلس على مقعد فيها ينتظر رب البيت حتى يأتى ويزوده بالتعليقات الاخيرة قبل رحيله . ولم يلبث ان هوجى بدخول المستر موراكى ، ومعه رجل كهول في حلة عسكرية يابانية . وقد أدرك من النظره الاولى انه الجنرال سيكى . غريبه اللدود فى مشروع الزواج ، تاما ، ويبدو ان المستر موراكى فوجى بدوره حين رأى آى - وان .
 .. ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال للجنرال :
 - هذا هو آى - وان . ابن صديقى المستر «واى يتبع سين»
 ثم قال آى - وان :
 - هذا صديقى الجنرال سيكى ..
 وأوما الجنرال براسه فى ترفع للشباب الذى قال معتذرا للمستر موراكى :

- كنت على وشك الرحيل ياسيدى ..
 وهنا قال له الجنرال بصوته الأمر :
 - لا .. يمكنك أن تبقى معنا قليلا ..

□

ودهش المستر موراكى ، ولكنه لم يقل شيئا . وجلس آى - وان ، مضطربا على حافة المقعد ، وقد ازداد شعوره بالتفوق من هذا الكهل القصير البدين الذى بدأ وجهه الدميم فوق عنقه الفاتر بين كنفه ، كوجه سلحفاة عجوز !
 وعاد الجنرال يقول له :

- انك قد ندل الى معلومات مفيدة .. هل تعرف فروع بنك والدك المنتشرة فى إقليم منشوريا ؟
 وقرر آى - وان ، فوراً ألا يخبره بشئ . ومن ثم قال :
 - لا .. لا أعرف ..

- هذا عجيب ؟ ولكن لا أهمية لهذا الأمر ، فان لدى المعلومات اللازمة فى مركز القيادة . وانما كنت أريد فقط أن أعرف بعض التفاصيل .. حسنا .. هل تعرف المسافة بين بيكنج وهاربين ؟
 - لا .. لقد أمضيت معظم سوات حياتى فى شنغهاى ..
 ولاحظ آى - وان ، عرقاً يتفجع فى عنق الجنرال من فرط الحقن ، ولكن هذا لم يلبث ان هز كنفه ، ثم التفت الى المستر

موراكى ، وقال له بلهجة امرأة :
 - لبيب كل شئ على ما هو عليه .. انها لن تكون حربا حقيقية ، وانما مجرد حملة تآديبية للقضاء على الصينيين المتمردين . وهى لن تستغرق أكثر من ثلاثة أسابيع . ووقتى لن يتسع للزواج السريع ، لاني سوف أسافر اليوم الى منشوريا . وعندما أعود ، سوف أظفر بإجازة طويلة ..

ثم أردف قائلاً ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة مأكرة :
 - وأعتقد أنها ستكون أسعد إجازة فى حياتى ..
 ولم يستطع آى - وان ، ان يحتمل منظر ذلك الرجل أكثر مما فعل ، فنهض واستأذن للانصراف .. ثم أسرع الى غرفته حيث وقف برهة أمامها ، وقد رأى أن عليه البحث عن تاما ، بأية وسيلة ليحدثها بما سمع ، ويؤكد لها ان الحرب المزعومة ، لن تكون حربا حقيقية ..

ومرت به خادمة تحمل اثناء مليئها بالزهور ، فاستوقفها وقال بلهجة :

- أين تاما - سان ؟ !

فقالت الخادمة مندهشة :

- فى الشرفة الشرقية ياسيدى تنسق الأزهار وغامر بالنهاب إليها ، رغم أنه لم يكن قد دخل الى الفرشات الداخلية للبيت قبل ذلك . واستطاع ان يهتدى إليها حيث رآها فى شرفة مربعة صغيرة وراء المطبخ ، فقال لها وقد اطمان الى أنهما منفردان :

- تاما ؟ ..

- آوه .. آى - وان ، كيف جنت ؟ .. ولماذا ؟

- انه رهيب .. فظبح ..

فقالت بهدوء وهى تعود الى تنسيق الزهور :

- نعم يا آى - وان .. انه فظبح الشكل .. لقد رأيتهم أمس

تقط بعد أن وعدت ..

فقاطعها آى - وان ، قائلاً بلهجة :

- لن تكون هناك حرب حقيقية بين بلدنا .. مجرد مناوشات

فقط ، لن تستمر أكثر من ثلاثة أسابيع . لقد سمعت سيكي يقول هذا الآن . وتأكدى أن رجلا مثل أبى لن يسمحوا بقيام حرب بين الصين واليابان .. انه لا بى نفوذا كبيرا .. وأموالا .. وتوقف فجأة وقد شعر بالخجل من هذا الزهو .. وابتسمت تاما ، فى رفق وقالت بصوت مفرد :

« اذا لم يكن هناك حرب ، فلنشك أن الاوضاع سوف تتغير .. ولا اظن ان أبى يستطيع أن يرغمنى على الزواج بهذا الرجل الخفى !

وأسرع « آى - وان » يقول ، وقد رأى الخادما قد بدأن يتجمعن بالقرب منهما :

« سوف اطلب يدك من أبىك بالطريقة التقليدية .. سأرسل اليه وسيط زواج محترقا ليفتاهم معه على كل شىء .. تم نظر طويلا فى عيشتها ، وانحنى أمامها ، وانصرف .. ولم يرها ، بعد ذلك ، حتى غادر البيت فى طريقه الى يوكوهاما ..

—

وأعلنت الصحف أخيرا أنه لن تقوم الحرب فى منشوريا ، وأن عصبة الامم تدخلت فى النزاع ، وأن « شيانج - كاي - تشيك » لا يريد أن يدخل فى حرب دعوية مع اليابان . وانتعشت من ثم آمال « آى - وان » ، وأدرك أن أباه كان وراء هذه الحركة التى تدعو الى السلام بين الصين واليابان ..

وبدأ فى اتخاذ الخطوات العملية للزواج ، من « تاما » ، فأرسل أولا الى أبىه يستأذنه فى الموافقة على هذا الزواج ، ورد أبوه قائلا انه يوافق ويبارك هذا المشروع . ثم اتصل الشاب بوسيط محترف ، واتفق معه على الأجر المناسب . وكان الوسيط رجلا يابانيا عجوزا خبيرا بهذه الامور ، فوعد بالسفر فورا الى ناجازاكي ليقيم بدوره ، ثم يعود ..

ودرج « آى - وان » ينتظر بفارغ الصبر .. ومررت الأيام سريعة وهو ممزق النفس بين اليأس والرجاء ، ولكنه كان حريصا على القيام بعمله بكل ما وسعه من جهد واخلاص ، حتى أصبح موضع ثقة واعجاب الاخ الأكبر سيو

وفى اليوم الثامن عشر من الشهر التالى ، عاد ذات مساء الى غرفته ليرى الوسيط العجوز فى انتظاره . وعندئذ هتف قائلا حين رآه ينهض وينحنى تحية له :

« أين كنت ؟ وماذا فعلت ؟

فقال العجوز فى وقار :

« كنت أقوم بعمل .. وكان على أولا أن أبحث للجنرال سيكي عن زوجة مناسبة حتى أزيحه من طريقك . وقد انتهزت فرصة لهفته على الزواج بأبنة فتاة حسنة فى مائة ألفا ، واقترحت عليه أن يتزوج ابنه رجل موفور الثراء ، واسع النفوذ ..

« وماذا تم ؟ ..

« انتهينا من غريمك ، وخطب فتاة أخرى ..

« و .. تاما ؟ ..

« أرغمت أباه للموافقة على زواجها بك ، حين قالت انها سوف تقتل نفسها اذا لم يقبل .. ثم شرعت فعلا فى الانتحار .. وشحج وجه « آى - وان » وقال :

« وهل ؟ ..

« انتظر لحظة أيها الشاب .. لقد رأيتها بعيني هاتين تقطع شريان يدها اليمنى ، فانبثق الدم غزيرا .. ثم شرعت فى قطع شريان يدها اليسرى . وكان ذلك أماننا جميعا ، وعندئذ صاح بها والدنا يأمرها بالتوقف قائلا انه يوافق على هذا الزواج ..

ولكن « آى - وان » عاد يصيح وقد ازداد فزعا

« و « تاما » ! ماذا حدث لها .. كيف حالها ؟

« انها بخير .. لقد أمكن انقاذها وتضميد جرحها ..

ثم أردف قائلا ، وهو يفيز بعينه :

« لقد عرفت كيف تسكب دماها من أجل الحب حتى تقتصر ..

وضحك « آى - وان » وقال :

« سوف أجزل لك العطاء أيها الشيطان العجوز .. !



انتصار الحب

عاشى * آى - وان * فى شبه دوامة من السعادة والبهجة خلال الايام التى سقت حفلة الزفاف . وكان قد ذهب مع الوسيط الى المستر موراكى ، وقام باجراءات الخطبة رسميا ، واتفقا على كل شئ ، وحددا موعد الزفاف .. ولكن كان محرما عليه ان يرى تاما * خلال الفترة التى تسبق هذا الموعد ..

وتم الزواج والزفاف فى أكبر فنادق المدينة . وشهد العظماء والاعيان وجميع انايب العروس .. وكانت هى اثناء عقد القران جالسة بجانبه - بين باقات الازهار - وقد زينت على الطريقة اليابانية التقليدية . اذ صنع وجهها بالاصباغ الحمراء والبيضاء حتى كاد الا يعرفها ..

وبعد ان تمت جميع المراسم التقليدية : سمع الوسيط الذى كان عليه ان يشهد جميع الاجراءات حتى النهاية ، يقول له هامسا :
- تستطيع الآن ان تغير ملابسك وتضى بعروستك .. ان السيارة واقفة امام مدخل الفندق فى انتظاركما ..

ونفض * آى - وان * الى غرفته المحجوزة له فى الفندق . وخلع ملابس الزفاف التقليدية ، وارتدى ملابس افرتحية كان قد اعد لها لهذه المناسبة . ثم خرج وتناول ذراع * تاما * ، وهبط معها الى مدخل الفندق ، والمدعوون ورامها فى طاوور طويل . ولما اقتربا من السيارة - فتح احدهم بابها لهما ، فدخلها . وانغلق الباب .. وانطلقت بهما الى الجناح الذى حجزه * آى - وان * فى ذلك الفندق النجلى عند العيون الساخنة التى سبق ان أمضيا فيها أسعد يوم فى حياتهما !

وكان قد قرر ان يمضى فى ذلك الفندق الاسبوع الاول من شهر العسل ..

وما ان أغلق عليهما باب السيارة ، حتى اخذها بين ذراعيه هاتفا:

- تاما ، ! !

ولما ضحكت ، أحس ان كل شئ فى الحياة يضحك معها ..

وقالت له ، وهى تقدم شفقتها الى شفتيه :

- هل نحن فى حلم يا * آى - وان * ؟

وقال بصوت مختنق من فرط السعادة :

- حدثيني يا * تاما * .. هل نحن زوجان حقا الآن ؟

فتعلقت به ، وقالت :

- أجل يا * آى - وان * .. !

وغابا معا فى قبلة طويلة ..



وفى لغرفتها الخاصة بالفندق ، جلس * آى - وان * على حافة فراش وقال لها :

- دعيني أرى مصمك يا * تاما * ..

فتقدمت نحوه ، ومدت يدها اليه .. وراح يتحسس آثار الجرح عليه ، ثم قال وهو يقبله :

- هل الفتاة المصرية تفعل هذا عادة لكى تصل الى غرضها ؟

فقال يهدوء :

- لا ، طبعاً .. ولكن أبى ليس عصريا ، ولهذا كان على ان اعامله بالطريقة التقليدية . وكان يعرف أبى جادة فى عزمى على الانتحار اذا أصر على الرفض .. ومن ثم استدرك الامر وأعلن الموافقة ..

وقاض قلبه بالهناء ، وراح يصمغ آثار الجرح فى وجهه ، وهو يقول مهابتا :

- حتى لو كان هناك حرب يا * تاما * ماكنت لتقبل الزواج بأحد

غيرى !

فهزت رأسها برفق ، ولكن باصرار أيضا ، وقالت :

- لا يا * آى - وان * ، لو كانت هناك حرب حقيقية ، لتزوجت بالجنرال سبكى .

وأبى أن يصدق أذنيه ، فقال :

« لا - لا - لا يمكن أن أصدق يا ، تاما »

« إذن فانت لم تفهم بعد روح الشعب الياباني يا ، آى - وان »

« ففى وقت الحرب لا أكون ملكا لنفسى ، واتما ملك لوطنى .. »

« ان كل فرد فى الوطن ، هو ملك لهذا الوطن فى وقت الحرب .. »

فقال فى سخرية :

« ان الجنرال سيكى ليس الوطن .. ! »

فقالت ببساطة ، وهى تمسح بيدها على شعره :

« انه قائد عظيم .. وان الامبراطور يثق فيه »

ولاحظ « آى - وان » أن « تاما » - كغيرها من أفراد الشعب

اليابانى - تتحدث عن الامبراطور بنفس القداسة التى يتحدث بها

المؤمن عن الله . وشمس تجاة بالغيرة من الجنرال ، وقال وهو يلف

ذراعيه حولها :

« لا يجب أن تحبى أحدا غيرى يا ، تاما . ! »

فأخذت رأسه بين يديها ، وانحنى وقبلت شفتيه بحرارة .

وقالت بأخلاص :

« اننى لا أحب أحدا غيرك يا ، آى - وان . .. ولسوف أحبك

دائما .. »

« إذن لماذا قلت اذا كانت هناك حرب حقيقية ل .. »

« ان واجبى فى هذه الحالة يحتم على ... »

فقاطعتها قائلا :

« أنا واجبك يا ، تاما . .. أنا فقط . ولا ينبغي أن يكون لك

واجب غيرى »

ثم جذبها اليه ، وطوقها بذراعيه فى قوة . وانحنى عليها قائلا :

« والان .. لا تتكلى .. لم يعد ثمة مجال للكلام بعد .. »

وانغمس « آى - وان » فى احضان الحب .. واحس بدمائته تجرى

مع دمائها فى مجرى واحد ، ونحو هدف واحد ، وتفنى أتسودة

واحدة خالدة .. هى اتسودة الرجل والمرأة منذ الازل .. »

وفجأة جفل عنها فى دهشة واستنكار خفى ، حين بدت من

يديها حركة لم يكن يتوقعا من فتاة لم تعرف فى حياتها من قبل

رجلا ، وتمتم بكلمات غامضة جعلتها تنظر اليه فى دهشة بدورها

وتقول :

« ماذا تقول ؟ »

« أتقول كيف .. كيف عرفت هذا ؟ »

فتظرت اليه من مكانها على الفراش ، وقد اطلت من عينيها نظرة

كلها البراءة والدهشة :

« هذا ما تعلمته من فتاة الجيشا .. لقد استأجرت أمى احدى

فتيات الجيشا لتعلمنى كيف أسعد زوجى وأرضيه .. »

« وكان فى نبرات صوتها ، ونظرات عينيها ، من البراءة والسذاجة

ما فتنه وأفرعه فى وقت واحد . وبقي صامتا برهة ، وهو لا يبرى

ماذا يقول أو يفعل .. وقالت هى :

« ما الذى يشغل بالك الى هذا الحد يا ، آى - وان ؟ »

« واستطاع أخيرا أن يقول :

« بساطتك فى النظر الى هذه الامور .. انها تخيفنى .. »

« وخطر له انها لن تفهم ما يعنى .. ولكنها فهمت . وقالت بصوتها

الهاديء الواقعى بعد أن تطلعت اليه برهة :

« كن منطقي يا زوجى الحبيب .. أكنت تفضل أن تتزوج فتاة

لا تعرف اطلاقا كيف ترضى الزوج وتسهله بالحب ، لقد تعلمت

كيف اصنع تيابك ، وكيف اطهو طعامك ، وكيف أدير شئون بيتك .

« وكيف أربى ايتاك .. فلماذا تعجب اذا كنت قد تعلمت أيضا كيف

أرضيك كزوج وأسعدك كحبيب ؟ أكان يرضيك إلا أعرف كيف

أعاملك كزوج حين تنفرد معا ؟ ان هذه اللحظات هى قلب حياتنا

الزوجية الناضج .. فاذا كان القلب سليما ، فلا خوف على بقية

الجسم ! »

فتمتم قائلا :

« ولكن .. ولكن هذا ما تفعله الغائيات المناجورات .. ! »

« أوه .. لا .. لا .. لا .. »

« وثبتت من فراشها ، وأسرعت الى ثوبها ترتديه وتجمعه عند

الوسط بحزام ذهبى . ولاحظ « آى - وان » أن يديها ترتعدان وهى

تشد الحزام ، وان صوتها يخنتق باليكاء ، وهى تقول :

١٠٧ - لعلقة لذلك أبدا بما تفعله الغانيات للأحورات .. أنتي
 ذوجتك ، وأنا التي ستحصل في أحضانها ابتاعك .. !
 ومسحت عينها بطرف كم توبها الواسع ، وطلت واقفة عند
 ستائر النافذة ، وقد تهدلت كتفها في حزن وألم الطفلة التي حاولت
 أن تؤذي واجبها كما تعلمت ، فلم تفلح ..
 وتقدم نحوها بسرعة . وقال بحتان بالغ :
 - أزوجك أن تصفحي عنى ..
 فقالت بحرارة :

- سلا .. لانرجوني ، فأنت زوجي .. وما عليك الا أن تأمر فاطمىع ،
 وإن رسالتى فى الحياة هى اسعاديك ..
 ورأى شفيتها ترعدان . فابتسم وقال :
 - إذن فانا أمرك أن تأتي الى ذراعى ..
 فاستدارت نحوه . ورفعت وجهها اليه ، ثم أخذت الابتسامه
 فتشتر على مجيها كله .. وهنا قال :
 - وأمرك أن .. أن تفكى حزام التوب ..
 ورفعت يديها الى الحزام ، ولم يلبث التوب أن سقط عن جسمها

الفصل الثاني عشر

الزناك

« الزوجة اليابانية هى احسن زوجة فى العالم .. »
 كتب ابوه اليه هذه العبارة فى الخطاب الذى ارسله اليه ، يبارك
 فيه زواجه ويهنئه به ..
 وكان مع الخطاب عدد كبير من الهدايا المرسله اليه من والدته
 وجديه ووالده !

وكان « كى - وان - » عدا هذا - قد قرا أيضا فى كثير من
 كتب المؤلفين الأوربيين والأمريكيين انه لا يوجد فى بقاع الأرض
 زوجة تتفانى فى خدمة زوجها والاخلاص له كالزوجة اليابانية ..
 وإيقن هو أن ماكتبه اليه ابوه ، وما قرأه فى الكتب لا يتجاوز
 الحقيقة فى شيء ، ان لم يقل عنها فى كثير من الاحيان ..

لقد جعلت « تاما » حياته الزوجية فى ذلك البيت الصغير
 الجميل الذى اقامه ، فوق ربوة تشرف على المدينة ، سلسلة
 متصلة من الأعياد السعيدة - كان يفرغ من عمله فى ادارة الشركة
 - وكان يونجى قد عاد من الصين واحتل مركز أخيه اكبو - ثم
 بهرع الى الطريق الساعد نحو الربوة .. وهناك ، فى مدخل حديقة
 البيت الصغير ، كان يجد « تاما » فى استقباله بابتسامتها
 السعيدة ، ولهفتها الحبية ، واسراعها الى قدميه تخلع عنهما
 الحذاء ، وتضع فيهما النسيب اليابانى اللين ، ثم تمضى به الى
 حيث يستريح فى مقعد ونير ، والى حيث يضع قدميه فى ماء دافئ
 معطر ، والى حيث يحس يدي « تاما » الناعمتين الرقيقتين ،
 وهى تدلكهما بتلك البراعة والخبرة .. حتى اذا فرغت من هذه
 العملية ، نهضت وساعدته على خلع ملابسه الأفرنجية ، وارتداء

﴿

ملايه المنزلية المفضضة المربحة ، ثم مضت تعد المائدة للطعام .. وهو الطعام الذي كانت تصر على أن تصنعه بيديها ، وعلى أن تفاعي زوجها كل يوم بكل ما يحب ويستهي منه .. وقد سألها « آى - وان » ذات يوم في دهشة :

- متى وكيف تعلمت طهو كل هذه الأصناف والألوان من الطعام ؟

فابتسمت وقالت :

- أن واجب الفتاة اليابانية أن تتعلم جميع طرق طهو كل صنف من الطعام ، وعليها بعد الزواج أن تعرف ماذا يجب زوجها وماذا يكره من هذا الطعام .. وأهم من هذا ، عليها ألا تجعله يمل ما يحبه من أصناف الأكل .. !

ولم يحدث أن عاد أبدا ليجد ذرة غبار أو قصاصة ورق في جميع أنحاء البيت أو الحديقة .. وإنما كان يجد ، في كل لحظة يكون بها داخل البيت ، كل شيء نظيفا مرتبا منسقا يتم عن ذوق رفيع ..

أما الأزهار ، فكانت في كل غرفة ، أشكالاً والألوان .. وكانت الحديقة رغم صغر حجمها بالنسبة لحديقة بيت أبيه ، أو بيت أيتها ، لا تقل جمالا وجاذبية عنهما ..

في هذا العش الجميل ، عاش « آى - وان » سنة بعد أخرى . وكانت الأيام تمر كحلم جميل يمتنى ألا يستيقظ منه يوما . وكان والده يرأسه بانتظام ، وكان والده زوجته بعاملانه بكل تقدير واهتمام ، وكأنه قد أصبح ابنا لهما

وقبل أن يمر العام الأول من زواجه ، جاءت له « تاما » بابتهاج الأول حيرو ، وقبل أن ينتصف العام الثالث ، أقبلت الخادمة التي مكنته بإدارة الشركة مفرحة تبشره بوصول الابن الثاني جانجيرو

انه لا ينسى قط تلك اللحظة السعيدة التي وقف فيها مع زوجته وأبنيه يحتفلون في الحديقة بعيد الأبطال . وكان جيرو في عامه الثاني ، يملا جوانب البيت زناطا وإبتهاجا ، وكان جانجيرو في شهره الثاني نائما في كيس على ظهر الخادمة كالتقليد المتبع ..

ولم يكن يدري أن هذه السعادة العامرة التي امتلا بها قلبه

في تلك اللحظة . سوف تنقلب في اللحظة التالية الى احساس آخر لا يمت للسعادة سبب !

كانوا واقعين يظفرون الى السارية الخشبية التي أقامها « آى - وان » في الحديقة احتفالا بعيد الأبطال . وكانت السارية مرتبة بمختلف أنواع الزينة الورقية والزهور .. وكان معلقا في أعلاها تمثال يرمز لسلك الشبوط . وكانت « تاما » تقول لجيرو الذي وقف يتأمل سمكة الشبوط في إعجاب :

- تذكر جانجيرو .. أن سلك الشبوط يرمز للقوة والكفاح ، لانه يسبح ضد التيارات الحرية وفي الجدول الباردة بأعلى الجبال .. في تلك اللحظة ، نفسها رأى « آى - وان » أو خيبل اليه أنه رأى السارية تتراجع بقوة ، وفي نفس الوقت سكت فجأة ، الرياح التي كانت تهب بعنف منذ الصباح الباكر . ونظر هو و « تاما » بحركة واحدة الى البحر الذي كان يبدو غير بعيد . ولاح لهما أن منظره بدا غريبا مكهرا عاليا أكثر مما يسمى . وكان ثمة هزيم خفيض عميق « لا بدري أحد هل كان يأتي من البحر أو من جوف الأرض

وحتم « آى - وان » في فرح :

- « تاما » !!

وقالت هي بصوت خافت هادئ رغم السحوب الشديد الذي كسى وجهها :

- زلزال ..

وكان قد اعتاد أن ينظر الى اهتزاز الأرض على أنه أمر عادي ، وعلى أن الزلزال قد يحدث في أية لحظة .. إلا انه طيلة إقامته في اليابان - وطيلة سنوات حياته قبل ذلك - لم يشهد زلزالا حقيقيا من النوع الذي قرأ أو سمع عنه . وكان في بعض الليالي ، ينهض مع « تاما » حين يشعران بالأرض تهتز وتميد تحنهما ، والغبار ينساقط من السقف على وجههما - ودعائم البيت الخشبية تصدر صريحا خفيفا ، وكانت « تاما » في مثل هذه الحالات ترتدى ملابسها مسرعة ، وتنتظر . وكان « آى - وان » يعرف أن كل فرد في المدينة - في هذه اللحظة نفسها - قد نهض من فراشه ، وارتدى

ملايه ، واخذ ينتظر أيضا . وعلى الجملة ، كانت زلزلة الأرض تجعل السكان جميعا يتأهبون لمواجهة ما يحدث بعد ذلك ، رغم شعورهم بالعجز عن مقاومة ثورة الطبيعة !

ولكن الزلزلة كانت تنتهى بسلام في كل مرة ، أثناء إقامة « آى - وان » . أما هذه المرة ، فقد احس بفريرته ان الامر اخطر من اية مرة سابقة !

واندفعت « تاما » الى البيت بسرعة ، وتبعها الخادمة بعد ان وضعت الطفل الوليد بين ذراعى « آى - وان » الذى وقف مذهولا بجانب ابنه جيرو يرى ما يحدث . وكانت « تاما » والخادمة تدخلان البيت وتخرجان ، حاملتين كل ما خف حمله وغلا ثمنه من الملابس والمتاع والمقتنيات . وفى كل مرة كان البيت يصر ويتأرجع ، كلما ماتت الأرض من تحته . وكان « آى - وان » يقول لـ « تاما » في حيرة وارتماك :

— يجب ان أساعدكما .. ابن اترك هذين الطفلين ؟

وكانت هى تقول له :

— كن معهما .. فهذه هى مهمتك

وكانت الاقبيسة الثمينة ، ومعاطف الفراء ، والهدايا الغالية والجواهر كلها مودعة في خزانة خاصة بينك المدينة المحصن ضد الزلازل ، أما الملابس والمقتنيات الاخرى في البيت ، فقد استطاعت « تاما » والخادمة ان جمعاهما في العراء خارج البيت في أقل من عشر دقائق ، وكانهما بحاران مدربان على كيفية التجاف من السفينة عندما يتهددها الفرق ..

وقال « آى - وان » عندما وقعت « تاما » بجانبه أخيرا ، ومدت يديها لتأخذ منه ظلهما جانبيرو :

— الى اين سئذهب ؟

فقالت ببساطة :

— لن نذهب الى اى مكان ، لانه لا يوجد مكان يمكن الهرب فيه من الزلزال

ووفقا بنظران ، ونظراتهما متجهة نحو البحر .. وكان « آى - وان » يضم جيرو الى صدره بقوة ، واستكان الطفل اليه دون ان

ييكى ، واتما راح هو ايضا يتطلع الى البحر الشائر في ذهول .. وفجأة ارسلت « تاما » صيحة رعب ، ووضعت يدها على نمبا .. ذلك انها رات مياه سطح البحر تتجمع عند الافق في موجة واحدة عابية رهيبه .. لا ! انها لم تكن موجة ، واتما مد بحسرى رهيبه بزحف على المدينة ببطء بشير القزع ، وكان الموت الذى لا مفر منه ولا ملاذ !

وهيمت « تاما » قائلة :

— لا يمكن ان نصل اليها مياه البحر ..

وقال « آى - وان » وهو يحس انه سيقع مغشيا عليه من فرط القزع والذهول :

— ولكنه سوف يكتسح المدينة كلها ..

ولم يستطع ان يدير راسه بعيدا عن ذلك المنظر الذى خيل اليه انه يرى فيه صورة مصغرة من يوم البعث . لقد رأى البحر وهو يزحف ببطء رهيب ، والمياه وهى تملو تدريجيا وكانما هى تغور ، ثم وهى تعضى نحو المدينة منجمعة كأنها جنود جيش زاحف ، يتجمعون ويحتشدون كلما اقتربوا من اعدائهم ..

وهناك - بعيدا تحت الربوة - حيث المدينة الجسامة ، كان « آى - وان » يرى الناس يغادرون بيوتهم مسرعين ، كأنهم من بعيد حشرات صغيرة تحاول ان تتسلق اى شيء لئلا تنجو من الموت الزاحف ..

وقالت « تاما » بهدوء :

— لقد بدأت المياه تتحرك بسرعة لتتقض ..

ولم يرها « آى - وان » هادئة ساكنة ، كما كان يراها في تلك اللحظة . ولم يستطع ان يعرف هل كان الخوف يملأ نفسها ، او انها لم تكن تتسرع الا بهذا الاستسلام الذى تعلمت كيف تواجه به ثورات الطبيعة ! .. وكلما اراد هو ان ينجو الى مكان ما ، وبطريقة ما ، امسكت بذراعه قائلة :

— لا .. لن تجد مكانا يمكن ان تامن فيه على نفسك من ثورة الطبيعة ، ولعل المكان الذى تظنه آمنا ، يكون الموت كما فى !

وانقضت المياه على المدينة كسيل العرم ، وتكسر سطحها الى

أمواج يعلوها الزيد .. واختفت المدينة تحتها تماما ، وقد بدا كأنما البحر كله قد حط فوقها ..

وقالت « تاما » بصوت خافت :

— ان هذه المياه قد تبلغ في انقراضها بيت أبي .. انه لا يرتفع كثيرا عن المدينة ..

واخذ الاثنان يرتبان ما يجري .. وكان انحسار المياه من المدينة ، في حالة الجزر ، أعنف وأقسى وانقطع .. لقد راحت المياه العنيفة المرتدة تسحب معها كل ما يمكن سحبه من آدميين ، وأشياء ، ومتاع ، واجزاء من بيوت منهاره ، حتى كاد سطحها ان يغطى بالآلاف الاشياء الطافية فوقها ، ومنها الأدميون الغرقى أو الذين يقاومون الفرق ، والواقع انه خيل لـ « آى — وان » ان المدينة كلها — بأهلها ، وبيوتها ، وشوارعها ، وأشجارها — قد تحركت الى البحر مع المياه المرتدة اليه !

وتوجه « آى — وان » وأخفى وجهه في كتف ابنه الطفل جيرو . وفي تلك اللحظة ، خيل اليه أن الأرض تكاد تنشق تحت قدميه ، وفي اللحظة التالية سمع صوت البيت وراءه ، وهو بصر ، وبعض الحجارة تنحدر من الربوة بقوة الى المدينة بعد ان تخلخلت من اماتها .. ولما مد يده ليمسك بدراع « تاما » وجدها ثابتة في مكانها ، قوية ، متجلدة تقول :

— ان هذه الربوة الصخرية لن تنهار .. اما المرتفعات التي تعلوها فهي كما ترى حقول منزرعة ..

وكان ذلك حقا .. فقد كان تمة حقول تمتد في اعلى الربوة ، يرونها نهر ، كان يجري بينها ..

ومرة اخرى احس بالارض تميد تحت قدميه ، وسمع « تاما » تقول :

— ان الوجوه ستعوض على المدينة مرة اخرى .. ولكنها ليست ضخمة عالية كالاولى ..

ولم يستطع « آى — وان » ان ينظر مرة اخرى الى ذلك الطوفان ال رهيب الذى راح يفرق المدينة ، ثم يعود ويبدو كأنما يسحبها كلها الى البحر ، اما جيرو فكان متعلقا به ، ساكنا لا يبكي أو يصيح .

وكان الطفل الوليد نائما بسلام في كيسه وراء ظهر امه . وتذكر « آى — وان » في تلك اللحظة ما قاله يونجى عن الطفل اليابانى الذى يستغرق في النوم ، رغم كل ما يصدر حوله من اصوات مزعجة وفجأة سمع صوت اخشاب تنفكك وتنهار .. فلما استدار ، فوجى برؤية بيته كومة من الحطام ، وسمع « تاما » تقول بهدوء :

— حمدا لله ان نجونا جميعا ..

واستدارت ومضت نحو حطام البيت .. وللعودة الاولى منذ زلزلة الارض جلست تستريح .. وكانت الرياح قد بدأت تهب مرة اخرى ، ومياه البحر تعود الى حالتها الطبيعية بعد ان اكتسى سطحها بحطام المدينة من جماد واحياء ووثبات

وتشعر « آى — وان » بسابقته وتوكل ان يتخذلاه ، وبالعرق يتفصد من كل انحاء جسمه ، ثم سمع « تاما » وهى تقول ، وهى تمسح وجهها بظرف كعها ثم تأخذ جيرو عن ذراعيه :

— لقد رايت زلازل أفظع من هذا ..

— اما انا ، فلم ار في حياتي أفظع من هذا ..!

— اود .. ان هناك ما هو اسوأ من هذا بكثير ..

ونظر اليها في دهشة ، وهو يراها جالسة بهدوء على جزء من حطام البيت الذى طالما شهد اجمل ايام حياتهما .. وهز رأسه متعجبا ، وقال :

— والان .. ماذا ستفعل ؟

— سنستريح قليلا ، ثم نعضى الى بيت أبي لترى ماذا حدث ..



ولم يلبث ان رايا رجلا من عامة الشعب — فى نوبه القطنى الازرق يصرع صاعدا الربوة نحوهما ، وكان واحدا من خدام بيت ابيها ، جاء يسأل عما حدث لهما ، فقالت له « تاما » :

— اتنا كما ترى بخير .. فكيف حال أبى وأسرته ؟!

— كلهم بخير .. لم تنهدم غير البوابة ، وجزء من المطبخ . وقد سقطت قطعة من الخشب على ساق السيدة — سو — درجة السيد يونجى فالتفتا .. هذا كل شئ

وصاحت « تاما » فى ابتهاج :

— آه ، ما أسعدنا !

وتهضت واقفة .. ولما رأت « آى — وان » ينجه نظرانه الى حطام البيت الذى كان قبل ذلك بلحظات من سعادة وهناء ، قالت له :
— سوف نقيمه مرة أخرى بسهولة .. وأجمل مما كان !
— نقيمه !

— أجل .. وهنا ، فى نفس المكان . لقد حاول البحر ان يضل
الينا ، فلم يستطع .. انه مكان مناسب
ولم يكن فى حالة تسمح له بالجلد .. ومن ثم سار معها فى
صمت نحو بيت أبيها ..

وعاش حياته لا ينسى ذلك اليوم .. لا ينسى نجاة بيت موراكى
من الدمار ، ولا الشعور المتع الذى أحس به حين وجد نفسه ،
وزوجته الحبيبة ، وطفليه محتمين بين أربعة جدران .. ولا المذاق
الشهى للطعام الساخن الذى كانت السيدة موراكى قد أعدته لهم ،
ولا الترحاب الرقيق الهادىء الذى فوبل به .. لقد كان ما حدث
معجزة ، ولكن المعجزة التى حفرت نفسها فى ذهنه .. هى معجزة
السكون الذى كان يخيم على كل شيء .. سكون المسنن موراكى
وهو يرى حديثه الجميلة وقد تمدرت تماما ، وسكون يونجى وهو
يرى زوجته الجديدة راقدة بعد ان سقطت قطعة الخشب من سقف
المطبخ على ساقها ، وسكون هذه الزوجة وهى لا تئن أو تتوجع بعد
ان أسغت ساقها وضمت ، وسكون الناس فى الشوارع بعد ان
تحطمت بيوتهم وابتلع البحر اثارهم ، وسكون زميله السكاتب فى
ادارة الشركة رغم وفاة أخيه الوحيد فى الكارثة .. !

انه لن ينسى — ما بقى على قيد الحياة — ذلك السكون الذى
أعقب الكارثة ..

وفى اليوم التالى ، دبت الحركة والنشاط فى المدينة لاعادة كل
شيء الى ما كان عليه .. لقد أخذ كل واحد فى المدينة يعمل ، وكأنه
يعرف تماما ماذا ينبغي ان يعمل ، فأعيد الحساجز البحرى الى
ما كان عليه من قوة .. واخذت البيوت تقام مرة أخرى على جانبي
الشوارع كأنما تقيمها عصا سحر ، وقالت « تاما » له :

— يجب ان نجعل بيتنا هذه المرة اكبر وأرحب ..

وشعر بالخجل من نفسه ، وهو سألها قائلا :

— ولكن .. اذا حدث هذا مرة أخرى ؟

فأجابت بهدوء :

— ليكن .. ففى امكاننا دائما ان تعيد بناه ..

ولم يستطع أن يشكو أو يتفمر ، وهو يرى الآلاف من سكان
المدينة الذين فقدوا الاحباب والاعزاء فى تلك الكارثة يستسلمون
للاقدار فى ايمان ورضا وخسوع .. ولعل أعجب ما رآه ، ذلك
الصياد العجوز الذى راح يقيم بيته بالقرب من الميناء ، بعد ان ابتلع
البحر بيته السابق

وقد قال له « آى — وان » :

— انبنى بيتك فى نفس المكان الذى ابتلع فيه البحر بيتك السابق ؟

فرفع العجوز عينيه : وقال بهدوء :

— وفى اى مكان آخر أقيمه ؟ .. لقد كان هنا بيت أبى من قبل

.. وبيت جدى ..

— ولكن اذا حدث هذا الامر مرة أخرى !

— انه سيحدث حتما .. وكلنا نعرف هذا ..

وفى تلك اللحظة ، عرف « آى — وان » سرا من أسرار الشعب

اليابانى .. ان هذا الشعب الذى يبدو مؤدبا مع الاجانب والغرباء ،

والذى يعرف كيف يستمتع بحياته ، وينعم بكل مايمكن ان تقدمه

الحياة اليه ، يتفوى فى الوقت نفسه على روح من الكفاح والمقاومة

ليس الى وصفها من سبيل ..

وهل هناك أعظم من روح الكفاح والمقاومة التى يتعلمها الشعب

— اى شعب — من كفاحه الدائم ومقاومته المستمرة لتورات الطبيعة !

غيوم

انها لم تكن حرباً! .. هكذا اعلنت الصحف ، انما هي مناوشات عسكرية ، وحملة تاديبية بسيطة ، تقوم بها القوات اليابانية باسم الامبراطور ضد بعض القوات النازية في منشوريا ..

وكان قد مضى على الازل الزهية عامان .. وكان البيت قد اعيد بناؤه على مساحة ارحب ، وكانت « تاما » قد اصرت على ان تقام فيه غرفة مكتب خاصة لـ « آى - وان » يستلجق فيها ان يستريح ويستجم بمجرد كلما اراد ..

ولما طلال امر « المناوشات العسكرية » حتى تجاوزت ثلاثة اشهر ، بدأ « آى - وان » يحس بالقلق ، ولكن بونجى كان يقول له مؤكداً ان الحرب لن تقوم ابداً بين الصين واليابان . وان الامر لا يعدو ان يكون خلافاً بسيطاً بين شقيقتين ..

ولكنه ارسل يسأل اياه عن حقيقة ما تجرى في ارض الوطن ولم يرسل اياه رداً على رسالته هذه .. بل ان اياه لم يعد يرسل اليه الخطابات بانتظام كما كان يفعل . وشعر « آى - وان » بالقلق ولكن هذا القلق لم يبلغ به حد اتخاذ خطوات ايجابية ليعرف ماذا يحدث في بلاده ..

وفي ذات يوم ، استقال الكاتب من عمله في ادارة شركة مورايكى وذلك ليشترك في « المناوشات » الدائرة بين القوات اليابانية والقوات الصينية في منشوريا . وكان « آى - وان » يعرف انه وحيد امه المعجوز الامل .. فلما سأل بونجى عن سيعول هذه الام المعجوز ، بعد رحيل انها الى ميدان القتال ، قال :

— ان ابى سيرسل اليها نصف مرتب انها شهرياً ..

وشغلت فنانان يابانيان مكان الكاتب المجدد ، وانيم حاجز بين مكتبهما ومكتب « آى - وان »

ولاحظ في الشهور التالية ، ان البضائع لم تعد ترد من بلاده الى اليابان ، وكانما توقفت التجارة بينهما تماما . وزاد هذا من شعوره بالقلق ، ولكنه فوجئ ، ذات يوم ببرقية من والده جاءت اليه عن طريق بونجى . وقد تعجب لهذا ، ولكنه لم يحاول ان يسأل عن السبب . وكانت البرقية كما يلي :

« سيصل اخوك « آى - كو » الى يوكوهاما على الباخرة بالمورال في اليوم السابع عشر .. استقبله على الميناء »

وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من الشهر ..

وقال له بونجى :

— هل سيأتى اخوك ؟

فساله « آى - وان » قائلاً بدهشة :

— كيف عرفت ؟

— ان ابى يريد ان يرسل هدية الى والدك عن طريق اخيك « آى - كو »

— وكيف عرف والدك بالامر ؟

— لقد استلم البرقية ، وهو في البيت .. وقرأها طبعاً ..

— لماذا ؟ ..

فتظاهر بونجى بالدهشة ، وقال :

— لكنى يعرف مدى اعبتها ..

وكاد « آى - وان » ان برد على هذا بقوله « وما شأنه هو ببرقية واردة لى ؟ » ولكنه امسك عن الاستطرد في الحديث عن هذا الموضوع ، ثم قال :

— ارجو ان تبلغه شكراً ..

وقال بونجى ، وهو يتأمل في عجب :

— اعتقد انه لا مندوحة لك من الذهاب لاستقبال اخيك ..

— طبعاً .. لا بد ان اذهب ..

وكان قد فكر في ان يصحب « تاما » وطفليه ليراهم اخوه ،

ولكنه عدل عن هذا الرأي ، وهو ينصرف من مكتب بونجي ..



وقف على رصيف الميناء ، يتطلع الى ركاب الباخرة بالبورال ، وهم يهبطون منها .. وما لبث ان لمح « آى - كو » وهو يهبط بملابسه الافرنجية الابيقة . ولكنه دهش حين رآه ، وكانما قد اصبح شخصا آخر .. انه يرى « آى - كو » مشدود القامة ، مرفوع الراس ، صامم اللامح ، مزموم الشفتين .. وكانما حولته هذه السنوات العشر من طفل مدلل ضعيف الى رجل موفور الرجولة والاثزان ورغم انه لم يكن يشعر نحو اخيه بحب كبير ، الا انه لم يملك نفسه في تلك اللحظة من الاندفاع اليه ، ومعانقته مرحبا ، وقد طفرت الدموع الى عينيه . وكان قد لمح وراءه فتاقا اوروبية في قستان ابيض قصير بلا اكمام ، تهبط من السفينة .. ولكنه فوجئ بها تقف وراء « آى - كو » وتنظر اليه في دهشة بعينها الزرقاوين ، وهي تسمع على خصلات شعرها الناعم الذهبى بيد كبيرة ناصعة البياض ..

واستدار « آى - كو » الى هذه الفتاة الاوروبية ، وقال باللغة الالمانية :

— فريدا .. هذا هو اخى « آى - وان »

وتأمل « آى - وان » تلك الفتاة الالمانية ، وقارن بين صلاتها الواضحة في كل شيء عليها ، وبين رقة « تاما » ولطفها ، ثم شعر بتغور طبيعي منها ..

وهنفت الفتاة بصوت مرتفع :

— آها ! .. شيء رائع ان اراك ..

واستكت يده ، وراحت تصافح بصمت ثم اذا به يفرغ حين رآها تنحنى عليه وتقبله في وجنته بسفتيها الممتمتين ، وهي تقول ضاحكة :

— اهلا باخى « آى - وان » ..

وقال « آى - كو » في ترفع وزهو :

— هذه زوجتى يا « آى - وان » .. ان اسمها فريدا فسون ويكوزين ، ووالدها من كبار الصياط الالمان ..

ولم يستطع « آى - وان » ان يقول شيئا في مجال العتاب او الاعتراض ، لانه لو اعترض عليه لواجهه من فاة اوروبية ، لرد قائلا ان هذا افضل من الزواج بغاة تنسى الى شعب عدو !

وعادت فريدا تقول في صوت ينم عن البهجة :

— اننا عريسان .. وان كل شيء ليبدو رائعا ..

وتناول « آى - وان » متديله ، وراح يمسح كل وجهه .. وحرص على ان يمسح - سرا - الاثر الذى تركته بسفتيها على خده ، ثم قال لآخيه وهم لا يزالون على رصيف الميناء :

— « آى - كو » .. اننى كدت لا اعرفك ..

وكان يتحدث باللغة الصينية ، لاول مرة منذ سنوات عديدة ، وقد اسعده ان هذه الفتاة الاجنبية لم تكن قد تعلمتها بعد . ورد « آى - كو » قائلا وهو يتسم :

— اجل يا « آى - وان » لقد تغيرت كثيرا واصبحت رجلا ... ثم اردف قائلا بعد برهة صمت :

— اننى مدين بهذا الفضل لآبى .. حقا كرهت المانيا في اول عام من اقامتى بها .. ولكننى لم البت ان الفت الحياة فيها واحبتها . اين يمكن ان نتحدث بحرية يا « آى - وان » ؟ .. ان لدى الكثير مما اردت ان اقول ، والباخرة ان تمكث في الميناء طويلا .. انها ستبحر بعد ساعة واحدة ، بعد ان كان المنتظر ان تمكث اربع ساعات ..

فقال « آى - وان » على سبيل المجاملة :

— ولكن .. الا يمكن ان تبقى بضعة ايام ، ثم تستقل باخرة اخرى ؟

فجز « آى - كو » راسه قائلا :

— لا .. يجب ان اعود الى الوطن في اسرع وقت . اين يمكن ان نذهب الان !

— اعتقد ان من الممكن ان نمضى فترة ما في هذا المطعم الصغير بالقرب من الميناء ..

وفي المطعم ، جلس الثلاثة الى مائدة واحدة ، وراح « آى - كو » يقول باللغة الصينية :

- « آى - وان » .. انك لا تستطيع الاستمرار في الإقامة هنا .. يجب أن تعود الى وطنك فوراً ..

فغمغم « آى - وان » قائلاً في ارتباك ، وهو يحمق في وجه اخيه :

- ولكن .. ولكن ، هذا مستحيل .. انتى رب اسره هنا

فقال « آى - كو » بدهشة :

- عجباً .. ايمكن أن تكون جاهلاً بما يجرى في بلادك ؟

- ماذا بها ؟!

- ألم تسمع بما حدث ؟!

- لا .. لم أسمع شيئاً ..

فهمس « آى - كو » في أذنه قائلاً :

- ان القوات اليابانية توشك ان تستولى على العاصمة نانكج ..

فغمغم « آى - وان » قائلاً في بلاهة :

- نانكج .. ؟!

- عجباً ! .. ألم تقرأ أو تسمع شيئاً عن هذا طيلة هذه المدة ؟

- كل ما اعرفه ان الامر لا يتجاوز مجرد مناوشات عسكرية ..

واسرع « آى - كو » يقول ، حتى يفرغ مما لديه قبل ان تنتهى

الجلسة :

- لقد أدرك ابى ان الموقف خطير .. ومن ثم أبرق الى لسكى

اعود سرعاً .. ان الجنرال « شيانج-كاي-شنك » يريدنى للاشتراك

في عملية تنظيم الجيش الصينى على النمط العصرى .. وقد

تقرر المقاومة حتى النهاية ..

فقال « آى - وان » في بلاهة وارتباك :

- ولكن الشعب اليابانى هنا لا يعرف شيئاً مما يجرى ..

- ان السلطات العليا تخفى عنه الحقائق في هذا الشأن ..

ولكننى اؤكد لك ان الأوامر صدرت بالتعبئة العامة في كلا البلدين

.. أننا « آى - وان » نخوض أكبر واقفح حرب في تاريخنا ..

تعال معى يا « آى - وان »

- الآن ؟!

- نعم .. الآن .. ان لدى من النقود ما يكفى لسفرك معى الى

الوطن ، وقد طلب ابى ..

- ولكن اسرئى يا « آى - كو » !

فهمس « آى - كو » بعنف قائلاً :

- ان كل ما يتبقى ان يكون بينك وبين اليابان هو الحقد

المتبادل .. الحقد الأبدى .. الحقد على كل شخص وكل شىء

يابانى !

فصمت « آى - وان » برهة ، وهو يفكر في « تاما » . هل يمكن

ان يحقد عليها ؟!

ايمكن ان يكره الفتاة الوحيدة التى يحبها كل هذا الحب ..

زوجته ، وأم طفليه ، لان بلاده في حرب مع بلادها ؟ .. ما ذنبه

هو .. وما ذنبها هى ؟!

وقال متلثماً :

- انتى لا افهم .. لا أستطيع ان افهم .. لماذا تقوم الحرب

بيننا وبين اليابان ، اننا لسنا اعداء ..

فقال « آى - كو » بحزم :

- بل اعداء الداء .. اين كنت يا « آى - وان » حتى لا تعرف

ماذا تفعل القوات اليابانية ببلادك ؟ .. يبدو ان زواجك قد جعل

منك يابانياً !

- لا .. لا .. ليس الامر كما تقول .. انتى لم اعرف شيئاً ، لان

ابى لم يرسل الى شيئاً من هذه المعلومات ..

- ومن يدريك أنه كان يرسل اليك خطابات فيها مثل هذه

المعلومات ، ولكن الرقابة اليابانية تمنع وصولها اليك ..

وانقضت الساعة دون ان يقرر « آى - وان » شيئاً ، ولكن

حدث « آى - كو » ترك في نفسه انراً عميقاً ، وفيما هما يعودان

الى رصيف الميناء مع زوجة « آى - كو » اللاتينية ، قال هذا

لاخيه :

- ان ثانى معى يا « آى - وان » ؟

- لا .. لا .. ليس الان .. ليس هكذا على الاقل !

- لماذا لا ؟ ..

فقال « آى - وان » في خجل :

– اننى .. اننى لا أستطيع أن أرحل عنهم هكذا . لقد كان المسر موراكى وزوجته جد عطوفين على .. انهما يعاملاننى كابن عزيز ، كيف ارد حميلهما هكذا ؟! ..

– اذن فانى أقول لك هذا نيابة عن أبى .. ان عليك أن تعود الى وطنك فى أسرع وقت ممكن .. عد الله فى أيام بدلا من أسابيع .. أو فى ساعات بدلا من أيام .. أن الوطن فى حاجة الآن الى كل فرد من أبنائه يستطيع أن يحمل سلاحا !

ووضع « آى – كو » يده على كتف « آى – وان » فبل أن يصعد سلم الباخرة ، وأردف قائلا :

– ان اليابان الآن هى آخر بلد يمكنك الإقامة فيه .. ان هذا عار .. والان أودعك الى لقاء قريب ، فى أرض الوطن ، بعد أيام .. وسوف أكتب لك عند وصولى بتيقن ما سوف أراه ..

وصعد « آى – كو » الى الباخرة ، ووقف « آى – وان » يلوح له مودعا ، وهى تتحرك خارج الميناء .. ولكنه كان يشعر – فى نفس الوقت – أنه أصبح أكثر بعدا من أخيه عن ذى قبل



وعاد الى تاجازاكى فى تلك الليلة بالقطار ، ووصل الى بيته فى الصباح .. وهناك استقبلته « تاما » وولادها بالترحيب والتهليل واليسر ، ودم شعوره بالاشمزاز كلما تذكر زوجة « آى – كو » الألمانية ، الا انه لم يسعه الا الشعور بأن « تاما » قد بدت له فى ذلك الصباح يابانية تماما .. وقد قال لها فجأة :

– لاحظ أنك ترتدين الآن الكيمونو والجيتا باستمرار !

فضحكت فى رفق ، وقالت بلهجة اعتذار :

– هل يضايقك هذا ؟ .. اننى أشعر بالراحة فى هذه الثياب ..

ولما انحنت لتخلع له حذاءه ، وتضع فى قدميه الشيشب اللين قال فى صوت يشم عن الضيق :

– وهل من الضرورى أن تستمرى على هذا التقليد اليابانى؟!

فقالت فى إصرار :

– اننى لا أفعل هذا الا لك أنت ..

ولما نام جانجىرو ، وحملته الخادمة وراء ظهرها فى كيسه كالمعتاد

فى اليابان ، قال محتجا لأول مرة فى حياته الزوجية :

– لماذا تحمل الخادمة الطفل على هذا النحو دائما ؟ .. ان هذا يقرص ساقيه ويوقسهما ، ويجعله يشمو قسرا مقوس الساقين مثل أخيك بونجى .. !

وهنا لم يتبسم « تاما » ولم تعذر ، وانما قالت فى احتجاج واستنكار :

– لا يا « آى – وان » .. لا ينبغي أن نتحدث هكذا ، لا سيما أمام جىرو .. انه الآن يفهم الشيء الكثير مما يدور حوله .. ثم ان حمل الطفل على هذا النحو ، انما نومه يضمن له الدفء والامن .. فأصر على رأيه ، قائلا :

– شعبه فى فراشه .. اننى لا أريد أن أراه محمولا بهسدا الشكل !

ورأى فى عينها أنه حقا يفترى عليها ، بلا سبب معقول ، ومع هذا فقد ابتسم برفق وقالت :

– لا شك أنك متعب بعد هذه الرحلة الطويلة .. اذهب يا جىرو والمب فى الحديقة ، حتى ادعوك ..

ورد « آى – وان » قائلا بجفاء :

– اننى لست متعبا !

وانتهى الامر عند هذا الحد .. وغابت « تاما » فترة من الوقت فى المطبخ ، ثم عادت اليه سعيدا من هدات أعصابه – وراحت تداعبه ، وهى تقدم اليه فتجانا من الشاى جيد الصنع حتى عاد الاتسام الى شفثيه . وكانت هذه طبيعتها معه دائما .. فسواء كان هو المخطئ فى النزاع أو لم يكن ، فقد كانت تتركه فترة على انفراد ، ثم تعود اليه بالشاى لتعيد اليه الاتسام

وجلس فى ذلك اليوم الى مائدة الطعام ، يتناوله فى صمت وفى شعور بالحجل من نفسه .. ان « تاما » لم تغير ، وانما بقيت كما كانت دائما .. نفس الفتاة الناضرة الباسمة الشافية المحبة الطبيعة التى ترى انها لم تخلق فى الدنيا الا من أجل أسعاده .. انها تؤدى تماما ما تعلمت ان تؤديه . وهنا خطر بباله فجأة ان هذه طبيعة اليابانيات واليابانيين .. ان كل فرد فى اليابان يؤدى مايلب

منه اداؤه ، ولكن من الذى يفرض في النهاية هذا الواجب الذى يؤديه كل يابانى باخلاص وتغان ! اهى روح الشعب ، ام الامبراطور؟ لا .. ان الاله يطور نفسه يؤدى بنفس هذا الاخلاص ما يطلب منه اداؤه . وهكذا ادرك ان الشعب اليابانى كله مسبوب في قالب واحد .. هذا القالب هو التغانى في اداء ما يحس به الفرد من واجبات مفروضة عليه .. وفي هذا القالب نفسه سوف يصب ولده ايضا



وفي المساء ، عندما اوى الى فراشه ، كان يحس بصداق ثقيل .. وادركت « تاما » ما يعانیه - كماداتها - من نظرة واحدة الى وجهه ، ومن ثم راحت تدلك راسه وجبينه وجوانب وجهه باطراف اناملها تدليكا رقيقا بارعا ، وكانت اصابعها لا تكاد تلمس بشرته، ومع ذلك كان يحس انها تدلك اعصابه ..

وقال لها ، بعد فترة صمت طويلة :

— اعتقد انك خبيرة بكل شيء ..

— هل انت الان احسن حالا ؟

— اجل ..

وانحنت عليه برفق وشم هو عبيرها الزكي ، وقالت له :

— انك متعب اليوم جدا ؟

— اجل .. وفي اشد الحاجة الى النوم ..

ولمست خديه بكفها في حنان ورفق ، ثم رقدت بجانبه لتنام في هدوء تام ، بحيث كان لا يكاد يشعر بها ..

وراح يفكر ..

تري ايلست لها ارادة خاصة بها ؟ هل تعلمت ان تتغانى تماما في زوجها بحيث ترى انه ليس لها اى حق في احساسات خاصة بها؟ .. لقد عرفها - وهي عذراء - فناء عنيدة ، قوية الإرادة ، ترى ان من حقها الا يتدخل احد في عواطفها ، فكيف تغيرت الى هذا الحد بعد الزواج ؟

وفجأة ادرك شيئا خطيرا .. ادرك ان تغانيتها في خدمته ، لا يدل على فقدانها لارادتها او شخصيتها ، وانما على العكس من هذا ..

يدل على انها ركزت كل ارادتها لاسعاد الرجل الذى يشاركها الحياة ، ويكبح لكي يوفر لها ولابنائها اطيب الحياة . انها بهذا التغانى تؤدى واجبها المفروض عليها كزوجة ..

واعجب من هذا انها حين تنام ، لا تتحرك .. لا تانى بأية حركة تزججه ، او تزرقه ، او تقطع عليه نومه . وكان يعلم ان هذه هي طبيعة الزوجات اليابانيات جميعا .. افليس هذا دليلا اكيدا على قوة الإرادة وحب النظام ؟

ان قوة الإرادة ، وحب النظام ، طبيعتان في الشعب اليابانى .. وانه لا ينس ماحدث بعد الزلزال الرهيب .. انه لم ير احدا يجزع ، او يشكو ، رغم ان سمات كل فرد كانت تنم عن الالم العميق الذى يزلزل كيانه ..

ولكنه كان يعلم ايضا - اثناء اقامته - ان هذه الطبيعة من قوة الإرادة ، وحب النظام ، والتغانى في اداء الواجب ، اذا انهارت او تصدعت لسبب ما .. فانها تكون كخزان المياه الذى ينهار سده فيفرق ويدمر كل شيء !

تري كيف يكون حال « تاما » اذا حدث ما يؤدى الى انهيار هذا السد المنيع من الإرادة وحب النظام ؟

ونظر اليها ، وهي نائمة في الضوء الخافت ، وتطلع الى وجهها الحلو الساجى الذى بدا في تلك اللحظة ، كوجه عذراء بريئة طاهرة القلب ..

وقال لنفسه عندئذ : « اذا حدث اى تصدع في طبيعة « تاما » فسوف اكون انا السبب »

ومد يده ، ولمس خدها برفق ، وقال هامسا :

— « تاما » ..

واستيقظت فورا - كماداتها - وجلست ، وهي في تمام صحوها ، وقالت بلهفة :

— نعم يا « آى - وان » .. هل تريد شيئا ؟

— لا .. لاشئ .. اريد فقط ان تتحدثنى معى ، لاني مؤرق ..

فمدت ذراعيها ، ولغنتها حول عنقه ، وقالت :

— لا نجهد نفسك بالتعكير الكثير يا عزيزى ..

فقال ، وهو يضمها الى صدره ، ويقبلها بحرارة :

— اننى لن أفكر فى شئ بعد اليوم ..

وقال لنفسه ، وهو يشعر بدفء جسمها العاطر المتصق

بجسمه :

« مهما حدث خارج هذه الغرفة ، فلن يكون له شأن فى

حياتى ... »

الفصل الرابع عشر

الكارثة

كانت الأسرة كلها مجتمعمة فى بيت المستر موراكى ، للاحتفال

بمناسبة بلوغه سن السبعين .. وكان كل ما يتصوره الانسان من

ظلال البهجة والسعادة يترنّف على افراد الأسرة ، ويملا قلوبهم

بالغبطة والرضا ويرسم على وجوههم هذه الابتسامات العريضة

المشرقة . وكان بونجى — كعادته — يضحك ، ويعاتب زوجته

ستيبو ، قائلا انه تعمد ان يتزوج اتيج فتاة يابانية شكلا ،

حتى لا .. وهو يجانبها شديد القبح . ورغم هذا التعريض المؤلم ،

كانت سيبو تنظر اليه فى ولاء وحب ، وتضحك لمأبثاته هذه

الثقيلة . أما المستر موراكى ، فكان كل شئ فى تصرفاته نحو

« آى — وان » و « تاما » يتم عن فخره الشديد بحفيديه : جيرو ،

وجانجيرو ، ولا يكف عن القول انهما جمعا اجمل الخصائص التى

يتعيز بها الشعب الصينى واليابانى



كان افراد الأسرة جميعا ، جالسين سعداء هكذا فى قاعة

الاستقبال ، بعد ان عادوا جميعا من الحفلة العامة التى اقامها تجار

المدينة صباحا فى الفندق تكريما للمستر موراكى بمناسبة بلوغه

سن السبعين .. وكان المستر موراكى جالسا متصدرا افراد أسرته

مجهدا بعض الشيء بسبب حفلة الصباح .. ولعله كان يفكر فى

حياته كلها التى توالى أحوالها فى الكد والعمل والاستمتاع بأطيب

ما فى الحياة ، وكان بونجى جالسا يتحدث فى همس مع اخيه سيو

الذى جاء من يوكوهاما مع زوجته وولديه ، للمشاركة فى الاحتفال

.. وكان « آى — وان » جالسا بجوار « تاما » يفكر فى المستر

موراكى ، ويعتبر انه عاش حياة نموذجية بحيث أصبح لا يكاد

يشتهى شيئا !

في تلك اللحظة نفسها سمع الجميع شجيجا في الشارع ، جعل
بونجي يهتف قائلا في دهشة :

– ترى ماذا حدث ؟ .. ماذا جرى ؟ ..
وصاحت زوجة سيو :

– هل هو زلزال ؟ هل شعر احدكم بشيء ؟

وانطلق الجميع الى الحديقة حيث وقفوا كالمناد ، ينتظرون
ان تهتز الارض من تحتهم ، لكن سرعوا الى انقاذ ما يمكن انقاذه
من مناع البيت ..

ولكن الارض لم تهتز .. وظلت الحديقة حولهم كما هي .. وفتاة
اقبل البستاني العجوز يجرى نحوهم ، ممسكا بصحيفة مسالية ..
لم يكد مداد المطبعة يجف عليها ، وكانت صفحاتها الاولى تحمل
عنوانات ضخمة تدل على وقوع احداث اشد ضخامة . واختطف
بونجي الصحيفة من يد البستاني ، وراح يقرأ لافراد الاسرة
الذين تزاوجوا حوله ..

وفي لحظة واحدة ، عرف الجميع نيا « الكارثة » .. عرفوا ان
ثلثمائة مواطن ياباني كانوا يقيمون في بلدة صغيرة بجوار نانكينج
ذبحوا عن آخرهم ، رجلا ونساء واطفالا ، على ايدي الجنود
الصينيين !

واعلنت الصحيفة بالخط العريض قائلة ان هذا هو نتيجة موقف
الحكومة المسالم نحو تحرشات الصينيين التي لا تنتهي ، وراحت
تطالب بالانتقام السريع !

ولم ينطق احد بكلمة .. ولم ينظر احد الى « آي – وان » وانما
ظلوا واقفين واجمين ، كما لو كانوا ينظرون زلزلة الارض تحت
اقدامهم . وحتى الاطفال .. احسوا بظل انكارثة وهو ينقل عليهم ،
فلموا الصمت . وفي هذا الجو الساكن ، كانوا يسمعون الضجيج
في الشارع يزداد ، ورنين تليفون داخل البيت ، ولكن احدا لم
يتحرك من مكانه ..

واقبلت من داخل البيت خادمة سريعة ، تقول :

– ان سيدي بونجي مطلوب ليقدم نفسه الى مكتب الجنرال
سيكي

واستدار بونجي دون ان ينطق بحرف ، وسار نحو البيت
وزوجته ستسيو وراءه ..

وفجأة سمعوا نجيب امرأة تبكي في خفوت – وكانت خادمة
« تاما » فقالت هذه لها في دهشة وحدة :

– ماذا بك يا ماما ؟

فتتمت المرأة قائلة :

– آخى .. لابد انه بين القتلى . لقد كان يمتلك متجر جزارة
صغيرا هناك .. في الصين في نفس البلدة التي وقعت فيها
المذبحة ..

□

وشرعت تشهق بالبكاء .. ولما رآها الطفل جانجيو هكذا ، صاح
ياكيا ايضا ، فاخذه « آي – وان » بين يديه ، ولكنه لم يعرف كيف
يسكنه ، لانه كان في حالة ذهول وارتيباك . وكان قد اخذ الصحيفة
من بونجي ، وقرأ الخير بامعان .. ثم راح يتساءل في نفسه :

« ما معنى هذا ؟ وكيف يمكن ذبح لثمائة رجل وامرأة وطفل
مسالمين آمنين بلا سب ؟ »

وقالت له « تاما » :

– هات الطفل .. انه لا يزال يبكي ..

واحس انها تأخذه منه في شيء من القوة والاصرار .. وفي نفس
الوقت ، عاد بونجي بوجه جامد ليقول لايه :

– صدرت الاوامر الى التجنيد نورا .. لقد اعلنت التعبئة
العامة ..

واستدار عائدا الى البيت ، ولم يقل احد شيئا .. وتمنى
« آي – وان » ان يوجه احد الحديث اليه – اي حديث – لكي

يستطيع ان يقول لهم : « لا .. ليس من المعقول اطلاقا ان يقتل
الجنود الصينيون هؤلاء الثلثمائة ياباني بغير سب معقول »

وقالت « تاما » بصوت غريب التبرات :

– يجب ان تعود الى البيت ..

وعندئذ بدأ الجميع يتحركون ، وينحنون مودعين ، مودعين فقط
.. فان احدا منهم لم يحاول ان يقول شيئا آخر . ومن ثم لم
تتح الفرصة لـ « آي – وان » لكي يقول شيئا ..

ولم يسمه الا ان يتبع « تاما » وولديه والخادمة التي أحمرت حينها من فرط البكاء .. وكانت الضجة في الشارع فد هذات ، وعاد الكون مخبما على كل شيء كالغمام . لقد عرف الناس جميعا ما حدث ، فراحوا يسيرون وهم يتبادلون الحديث وقد أريدت وجوههم ، وخفتت أصواتهم .. وكأنما قد عقدوا العزم على شيء رهيب

وأحس « آى - وان » بنظرات الناس في الشارع تتركز عليه برهة ، وقد أدركوا أنه ليس منهم . ولشد ما تمنى في تلك اللحظات لو استطاع ان يصيح قائلا ان مواطنيه كسائر البشر ، لا يمكن ان يرتكبوا هذه المذبحة بلا سبب يبررها !

وراح يتذكر صديقه « أين - لان » وما كان يحدثه عن فضائل اليابانيين في شمال الصين ، ولطالما أبى ان يصدق ما كان يقوله « أين - لان » ، ولكنه يحاول الآن ان يصدق هذه الأقوال حتى يجد فيها البرر الكافي لما حدث ..

— ترى أين « أين - لان » الآن ؟

— لا شك انه مات على جبل المشقة ..

— آه .. لقد كان « أين - لان » يمسى له دائما في اذنه : «ل سوف تتخلص من جميع اليابانيين في الصين بعد الثورة .. »

وأراد - بعد ان وصل الى البيت - ان يفر الامر لـ « تاما » .. ان « تاما » هي فقط التي تهمة في اليابان كلها .. ولكنها بدت مشغولة جدا ، بعد ان سمحت للخادمة ان تعود الى والدها لتخفف عنهما ، وان تغيب يومين أو ثلاثة حتى تهدأ أعصابها ..

ولما حاول « آى - وان » ان يساعد زوجته في اعمال البيت بعد انصراف الخادمة ، قالت له :

— لا يا « آى - وان » .. اذهب الى غرفتك الخاصة ، واسترح .. اننى أستطيع ان أقوم باعمال البيت بمفردى ..

ومضى الى غرفته .. وكان يعنى لو انها سألته فقط « كيف يمكن ان يحدث هذا » لكن يشرح لها الامر .. ولكنها لم تحاول ان تقول شيئا .. وانتشرت الظلمة في الجو ، وأقبلت هي وأشباهت نور الغرفة ، فائلة :

— « آى - وان » .. لماذا تجلس هكذا في الظلام ؟ .. تعال . قد أعددت العشاء

وتناولت يده في رفق وحنان ، ومضت الى مائدة الطعام .. ثم راحت اثناء الاكل ، تتحدث بسرعة وانطلاق ، لا عما حدث .. وإنما من ذكرياتها مع ابنيها وهي فتاة عذراء ، وتشييد بيخانه وعطفه . وهنا قال لها :

— حتى عندما أراد ان يزوجك بالجنرال سيكى ؟

فاجابت بثبات :

— انه لم يرد هذا ، الا وهو يعتقد تماما انه الصواب ..

وتلاقت نظراتهما برهة .. وقال لنفسه : « ما جدوى هذا الحديث ما داموا يعتقدون الخطأ صوابا »
ولزم الصمت ..



وبدا « آى - وان » يشعر في الاسابيع التالية ، ان كل شيء قد تغير في حياته بطريقة خفية مزعجة .. ان احدا لم يوجه اليه كلمة سوء او حتى عتاب ، ولكنه كان يشعر انهم - في أعماق نفوسهم - ينظرون اليه على أنه واحد من افراد هذا الشعب الذى ارتكب تلك المجرزة في حق مواطنيهم المسالمين . وكان يقوم بعمله في ادارة الشركة كالغمام ، ولكنه لم يحتل مركز بونجي بعد تجنيده كما كان يتوقع .. وانما ظلت غرفة بونجي مغلقة بضعة ايام ، حتى عين للادارة مدير يابانى !..

وفي البيت ، كان كل شيء يبدو كما هو .. وكانت « تاما » حريصة اشد الحرص على توفير كل أسباب الراحة له . ولكنها امتنعت من الخروج معه الى الزهات كالغمام ، دون ان تذكر السبب الحقيقي .. وانما كانت تنفجر حينما بالتعب ، وحينما بكثرة اعمال البيت ..

وقد طلب منها ذات يوم ، ان يدهيا مع الطفلين الى الحديقة العامة ، فهزت رأسها فائلة :

— انهما سعيدان هكذا .. فلماذا نتعب في الذهاب بهما الى هناك ؟

وكان يتساءل فيما بينه وبين نفسه :

« ترى هل تعاني التيء الكثير من احتقار مواطنيها لانها زوجتي ؟ »

وحدث ان كان جالسا في غرفة مكتبه الخاصة بالبيت ، حين سمع جيرو في الحديقة يسأل امه قائلا :

– لماذا تبكي « مايا » كثيرا يا اماه .. انها لا تكف عن البكاء ، كلما ابتعدت عنك

وسمع « آى – وان » زوجته تقول بهدوء :

– لان اخاها قتل يا جيرو ..

– ومن قتله يا اماه ؟

– الجنود الصينيون في الصين ..

فرد الطفل بصوت كله استياء واستنكار :

– اذن فهم اشرار ..

وغضب « آى – وان » واطل من النافذة ، وقال لزوجته التي كانت تروى الزرع :

– « تاما ؟ » .. كيف يمكن ان يفهم الطفل هذا الحديث ؟

ورفعت عينيها اليه .. ولم تقل شيئا ، وقيل ان يستطرد هو في الحديث ، رأى ابنه جيرو يجري وراء فراشة ملونة ، يحاول الإمساك بها ..

وتراجع « آى – وان » عن النافذة ، وقد رأى بنفسه ان الطفل نسي في لحظة كل ما سمعه في هذا الشأن !

وبعد نحو ساعة سمعها تنادى عليه .. فذهب اليها ، وراح يتمشى معها في جوانب الحديقة وقد وضع ذراعها في ذراعها ، وكان الطفلان فد اوبا الى غرفتهما للنوم . وقرر « آى – وان » ان يتحدث

مع « تاما » في ذلك الموضوع ، بآية طريقة ، حتى يزيل الضباب الذى خيم على حياته بسببه ..

قال لها :

– هل كان الطفلان في حالة طيبة اليوم ؟

فأجابت بهدوء :

– جدا ..

– اننى أرجو ان تفهمى : لماذا تحدثت بهذه اللهجة بشأن جيرو ..

فقالت بسرعة :

– أوه .. طبعاً .. ولكن الاطفال لا يتذكرون هذه الاشياء ..

وقرر ان يستمر في الحديث ، فقال :

– أرى يا « تاما » ان الواجب يحتم علينا ان ننتظر حتى نعرف الحقيفة كاملة في ذلك الشأن .. لقد كتبت الى أبى أساله ، وأرجو ان اطفى الرد بسرعة قبل ان اقرر شيئا ..

فقالت ، وقد شحبت وجهها فجأة :

– تقرر ؟!

– اقصد ، احكم في الموضوع ..

وأشاحت بوجهها نحو البحر ، ولم تجب .. فقال في اصرار ..

– الا ترين هذا ؟ ..

ولما استمرت في صمتها ، صاح غاضبا :

– « تاما » !

وأخيرا قالت :

– ما شأن هذا الموضوع بحياتنا ؟!

وأدرك انها تريد ان نجنب الحديث في هذا الشأن ، ولكنه كان يدرك انها تحس به في اعماق نفسها .. ولعلها تراه مستولا عما حدث بصغته مواطنا صينيئا

وأصر على ان يصل الى اعماق نفسها ، فقال :

– لا بد ان تدركى ان هناك سببا يبرر ما حدث ..

فقالت بسرعة : وكأنما كانت الإجابة معدة منذ زمن طويل :

– ما قيمة تفكيرى او ادراكى ما دمت زوجة لك ..

وأدرك ان هذه هى الإجابة التقليدية للفتاة اليابانية التى نشأت على وجوب طاعة زوجها .. ومن ثم ، قال بصوت مرتفع :

– لا تكونى .. يا بانية الى هذا الحد .. !

فقالت بهدوء :

– ولكننى يابانية فعلا .. !

وبعد برهة صمت ، قال :

- الحقيقة ، أنك كونت فعلا فكرة خاصة من هذا الموضوع ..
ألك تؤمنين الآن - دون مبرر - أن قومي سفاحون كالمهملح في
الغابات البعيدة عن المدينة والحضارة .. ولكن الحقيقة ، هي أنك
لا تعرفينا .. وإذا كان هذا رايبك ، فأنت لا تفهمي . لقد تعدينا
سنوات طويلة ، بينما كان اليابانيون يهبون ثرواتنا ، ويقتصرون
أراضينا ، ويستولون على تجارتنا ..

وأحس أنه مخطئ بهذا الحديث ، لأنه - جعلها ربما عنها -
تقف في صف مواطنيها للدفاع عنهم . ولكنه قرر أن يستمر في
هذا الحديث ، مادام قد يده ، فقال بصوت مرتفع :

- أنتي اعرف ماذا حدث .. ان جنودنا لم يستطيعوا ان
يحتلوا منظر العلم الياباني يرفرف على « ناكج » بعد أن سقطت
في أيدي القوات اليابانية .. لقد تعدينا كثيرا ..

وهنا صاحت قائلة في حماس وعنف ، وهي تهز ذراعها :
- ومن الذين قتلوا اليابانيين في « ناكج » في ٢٧ مارس عام
١٩٢٧ ؟ ومن الذين قتلوا اليابانيين في شيمهاى عام ١٩٢٢ ؟

فهتف قائلا :

- هل تعتقدين أنتي مسئول عن هذا ؟

فهزت رأسها قائلة :

- لا .. ولكن قومك هم المسئولون !

فقال :

- وما الفرق بيني وبينهم في نظرك ؟ الست واحدا من هؤلاء
الذين ينهني قتلهم في رايبك ؟!

وأحس في تلك اللحظة ان الذى يتحدث من لسان كل منهما ،
ليس الزوج والزوجة .. وإنما الدماء التى تجري في عروقه مثل
الازل . وفتاة رأها تهرع الى ذراعيه ، وتخفى رأسها في صدره
وتنفجر بكبكية ، لقد انهارت أخيرا .. ولكنه لم يشعر بأى انتصار ،
لأنها رغم انهيارها لم تسلم تماما لأرائه !

وقال لها هامسا :

- كفى بكاء .. اخشى أن يستيقظ جرو .. فماذا تقول له ؟

وراح يمسح على شعرها بخنان ، وهو يقول :

- ألك على صواب .. والحقيقة انه مهما يحدث خارج حياتنا

لا ينبغى ان يكون له تأثير سيئ على سعادتنا ..

وراح يضعها الى صدره بنفس القوة التى كانت تضعه بها اليها ،

وأحس في تلك اللحظات انه لا توجد قوة في الارض تستطيع ان تنال

من جيهما الخالد !

وعندما أوبا الى فراشهما ، مد يده اليها .. وأستدارت نحوه

في استسلام وإبتسام . وفتاة أحسن ان كل رغبة جنسية نحوها

قد تلاشت ، وفي نفس اللحظة ، أحست من عدم استجابتها

الطبيعية له ، ان هذا هو نفس شعورها . ان ما يحدث بين بلديهما

قد امتد الى حياتهما وأفسدها ..

□

– اننى « هيدويشى » وقد صدر الامر بترقيتى من مدير مساعد
في فرع بوكوهاما الى مدير للمركز هنا .. ومن سوء حظى ان
نظرى ضعيف ، ومن ثم حرمت من شرف الحرب من اجل بلادى في
الصين .. اجلس ..

واشار الى مقعد جلس عليه « آى – وان » بعد ان انحنى
احتراما . وفجأة انفجر « هيدويشى » ضاحكا ، وقال :

– هل قرأت صحف هذا الصباح ؟

فقال « آى – وان » يهدوء ، وهو يشعر ان كراهيته نحو هذا
الرجل تزداد :

– لا .. لم اقرأها ..

فلقى اليه بصحيفة ، وقال :

– افراها اذن .. ان الخبر الذى ورد فيها عن الصين مضحك
جدا ..

وظاف « آى – وان » بنظراته على الصفحة الاولى ، ولم يلبث
ان قرأ الخبر التالي الذى كان بعنوان : « الطيارون الصينيون
يساعدون القوات اليابانية » و « الطيارون الصينيون يضربون
شنغهاي بالقنابل .. اضحكوا .. اضحكوا .. طيار صينى شاب
اراد ان يسقط قنابله على اهداف يابانية ، فاسقطها على شوارع
شنغهاي المزدحمة .. اضحكوا .. اضحكوا .. مئات من الصينيين
يقولون .. »

ورفع « آى – وان » رأسه ليرى « هيدويشى » لا يزال يضحك ،
ثم يقول :

– انها مأساة ، ولكنها تثير الضحك رغما عن النفس .. اليس
كذلك ؟

وقال « آى – وان » بصوت مختنق :

– هذا افتراء .. هذا غير صحيح ..

فقال « هيدويشى » بحدة :

– لا .. ان جميع الصحف نشرت هذا الخبر فعلا عن وكالات
الانباء المحايدة ، وان الجميع في اليابان يضحكون - ولاشك ان
الانجليز والامريكان سيعلمون على اى حد يبلغ كرم الصينيين ،

الفراق

ادرك « آى – وان » مبلغ خطئه حين ظن ان كل ما يحدث خارج
حياته وحياة « تاما » لا يمكن ان يكون له تأثير عليهما . لقد وجد
ان ما يحدث بين بلده وبين اليابان له اكبر الاثر على حياته الزوجية
.. كان كالسبح الزهيب الذى انزع منهما كل احساس بالسعادة
والاستقرار ، وملا قلب « آى – وان » بالوحدة والشعور
بالعزلة .. بل لقد بدأ يشعر ان طفله جرد أصبح يتشارك الشعب
اليابانى في النفور منه وكراهيته ، ولكنه عاد وقال لنفسه : ان هذا
لا يمكن ان يكون !

وكان اشد ما حير عجبه وقلقه ، عدم ورود أية خطابات اليه
من ابيه او من « آى – كو » . وكثيرا ما كان يقول لنفسه : انه ليس
من المعقول اطلاقا ان يهمل « آى – كو » ، على الاقل ، في ارسال
الخطابات اليه .. فما معنى هذا !

معناه الواضح ان هناك رقابة عليه .. ورقابة من ادارة الشركة،
او من السلطات المسئولة ، تحول دون وصول خطابات أسرته في
الصين اليه :

وفي الوقت نفسه ، كان ممتنعا عن قراءة الصحف اليابانية بوجه
عام حتى لا يسم افكاره بما ينشر فيها ضد بلاده ، كما انه لم يكن
يشق في كثير مما ينشر بها يومذاك ..

وفي ذات يوم صباحا – اى عند وصوله الى مكتبه بالادارة –
وجد رجلا يجلس في مكتب يونجى – سبق له ان عرفه وكروه حالما
وقع بصره عليه

قال ذلك الرجل الذى لم يكن يتجاوز الثلاثين من عمره :

وطيبة قلوبهم ، اذ راحوا يساعدون اعداءهم اليابانيين يقتل مواطنيهم !

فقال « آى - وان » بنفس الحدة :

« اذن فانت تعترف ان اليابانيين يقتلون الصينيين !

فلوى « هيدويشى » شفتيه وقال :

« اتنا لم نعد نحتمل اهاناتهم اكثر مما فعلنا .. لقد صيرنا سنوات ، ونحن نتحمل اساءاتهم ، وتحاملهم ومقترباتهم ، واغتيالانهم لرجالنا .. ومن ثم قرر امپراطورنا ان نضع حدا لعداوتهم لنا ، وأن ينتزع كراهيتهم لنا من قلوبهم حتى يتعاونوا معنا ..

فحلق « آى - وان » في وجهه وقال :

« اعنى ان تقول انكم مستثمرون في قتل رجالنا ، واغتصاب نساءنا ، وتدمير مدننا ، وسفك دماننا ، حتى نتعلم كيف نحكم ؟ وجاء دور « آى - وان » لكى يضحك عاليا ، وهو يستطرد قائلا :

« اتريد منى ان احبك ! اترى انه يجب ان احبك يا مستر هيدويشى .. !!

وعندئذ قال « هيدويشى » مرتبكا :

« اننى لا اعنيك يا مستر « آى - وان » .. اتنا ننظر اليك باعتبارك يابانيا ، لانك امضيت بيننا سنوات عديدة ، ومتزوج من سيدة يابانية

وتوقف « آى - وان » عن الضحك فجأة ، فقال له « هيدويشى » :

« ماذا بك ؟

« لا شئ .. لقد ادركت الحقيقة في لحظة . حقا ليس هناك ما يشير الضحك

ثم نهض وانحنى ، وعاد الى مكتبه وهو يحس بالاختناق ، وبراسه يكاد ينفجر من الالم . وفتح درجا في مكتبه ، وتناول بعض السجلات ، ثم تظاهر بالعمل ، بينما كان في الحقيقة يعود بذاكرته الى صديقه « اين - لان »

انه يحاول ان جذر تلك القائمة التاريخية التى سجل فيها « اين - لان » جميع امتداءات اليبان على الصين منذ فجر التاريخ . وكانت قائمة طويلة مليئة ياغتصاب الاراضى ، واحتكار التجارة ، وتقديم القروض للاقطاعيين العسكريين لشن الحروب بعضهم على بعض ، وتهرب الافيون ليعود الشعب الصينى ادمانه ، فينحل اخلاقيا وجنمائيا ، والاستيلاء على كياتشو والمطالب الحادية والعشرين ، وغير هذا كثير ..

كيف يمكن - بعد هذا كله - ان يكون يابانيا ؟!

ويعد يومين ، وتترتت الصحف ابناء جديدة .. ذلك ان « هيدويشى » اطل براسه صباح يوم من مكته ، وقال « لاي - وان » وقد التمتعت اسنانه بابنامة صفراء :

« اتنا الان نقوم بتدمير شغهاي بطارتنا الخاصة لا بطائرات الصين .. هل قرأت صحيفة ازكامابيشى اليوم ؟



وحلق « آى - وان » اليه دون ان يجيب . ومعنى في تلك اللحظة لو انه استطاع ان يسحق بقدمه ، كما يسحق الانسان حشرة سامة . ويبدو ان « هيدويشى » ادرك معنى هذه النظرة ، فترجع براسه الى مكتبه صامتا

ومع ذلك فان الكراهية لم تكن هى الحافز على هذه الخطوة التى استقر عليها رايه في تلك اللحظة .. وانما كان السبب شيئا آخر مختلفا تماما .. سببا متفلقا في اعماق نفسه ، لا مجال فيه للكراهية او الحقد ..

ذلك انه سمع ذات يوم رجلا عجوزا ، يقول معلقا على مقتل ابنه في الحرب : « اننى سعيد بتضحية ابنى الوحيد فى سبيل بلاده »

واضادت هذه العبارة طريقه الذى راي ان واجه يحتم عليه السير فيه . لقد راي ان هذا الطريق هو نفس الطريق الذى دفع به اثناء الشباب لان يضحي بكل ما كان يستمتع به من ترف الحياة فى سبيل خدمة وطنه ..

واحس فجأة انه عاد الى طبيعته القديمة .. طبيعته التى كانت

فتراجعت عنه قليلا ، وقالت :

— طبعاً .. طبعاً .. بكل تأكيد . ما شأن هذا بمشاعركم
لخاصة ؟! ولكن علينا الآن أن نفكر فيما ينبغي أن نفعل قبل رحيلك
بعده ..



قال لها وهما جالسان في غرفتهما ، جنباً إلى جنب ، ينظران في
سكون الليل إلى البحر البعيد :

— ماذا ستفعلن بالطفلين بعد رحيلي ؟

وكانت الإجابة معدة ، إذ قالت فوراً :

— يمكننا طبعاً أن نعود في أي وقت للاقامة مع أبي .. انه كما
تعلم شديد التعلق بهما ..

فقال لها بعد تردد :

— هل ستعاوينهما على أن يتذكراني ؟

وأحس بيدها تضغط على يده ، ثم قالت :

— هل يجب أن اتخلي عن وفائي كزوجة لأن هذه الحرب تلتقي
بظلمها الكئيب علينا ؟

ثم اردفت تقول بحماس :

— وهل تظن اني اعتب عليك أو غاضبة منك ؟ . انك بهذا الرحيل
لا تتخلي عنا أو تهجرنا ، وانما انت تؤدي واجبك نحو وطنك الذي
هو أعلى وأمر من الزوجة والأبناء .. لسوف أقول لكل منهما :
افخر بابيك الذي ذهب للدفاع عن وطنه . انني اريد ان تصنع لك
صورة كبيرة كما انت الآن . ولسوف أضع هذه الصورة أمام
الطفلين في ابرز مكان ، ثم نضع كل يوم الأزهار حولها ، ونصلي من
أجلك ..

وتهدج صوتها ، وتوقفت عن الحديث فجأة ..

وقال هو متائراً :

— لسوف اصنع هذه الصورة غداً ..

وأحس بجسمها يرتعد بجانبه ، ولكنها قالت بصوت هادئ بعداً

فترة صمت :

تجمله يحلم دائماً برقعة وطنه ، ويكرس حياته من أجله ..
لشد ما يحب هؤلاء الناس وطنهم . انه الحب الذي جعل وجه
ذلك الرجل المعجوز يشرق بالعودة ، وهو يتحدث عن مقتل
ابنه في سبيل الوطن .. انه اعظم وأسمى وأجمل حب في الوجود ! .
انه الحب الذي يجعل أي حب آخر باهتاً ، سخيفاً ، مليئاً بالإنانية
والضعف . وفي خضم هذا الحب المقدس ، قرر « آي - وان » أن
يلتقي بنفسه ..

وسار في الطريق إلى بيته ، وقد قرر أن يعود إلى وطنه ليشرك
قومه الكفاح ضد الغزاة . ولكن المشكلة التي كان يواجهها في تلك
اللحظة هي كيف يخبر « تاما » بهذا القرار !

وقرر أن يخبرها بمجرد وصوله إلى البيت حتى لا يضعف أو
يتردد ..

قال لها حين هرعت إليه كماداتها تستقبله ، وقد توردت وجنتاها
بالسعادة للقائه :

— اسمعي يا « تاما » يجب ان اعود إلى وطني .. انهم في حاجة
إلى هناك !

وكان صوته هادئاً حتى لا يزعجها ، ولكنه أحس بجسمها يرتعد ،
وهو يضمها إلى صدره . ورفعت وجهها إليه في هدوء دون أن تقول
شيئاً ، أما هو فقد استنظر يقول بسرعة :

— لقد كنت شقياً بالسا في الأسابيع الأخيرة ، لاني لم أكن أدرى
ماذا ينبغي أن أفعل ..

وأومات برأسها ، ومسحت عينيها بطرف كمها ، وقالت ببساطة :
— يجب طبعاً ان نعود إلى وطنك ، اذا كنت ترى انه في حاجة
إليك !

ثم اردفت تائلة ، وهي تفص بحلقها :

— انني كمواطنة يابانية ، أفهم شعورك تماماً ..

وكان يشعر بقلبيها يخفق بشدة على صدره ، وبين مدى
اضطرابها ، رغم تظاهرها بالهدوء ..

وعاد يقول هامساً :

— وانت تعرفين ان هذا كله لن يكون له أي تأثير على حبتنا ..

– هل ستحتاج الى حقيبة سفر اخرى جديدة ، او ان التي لدينا تكفى ؟

– انها تكفى ، لاننى لن آخذ معى الا القليل جدا ..

ولما رآها ترتمد بقوة ، ضمها الى صدره وراح يمسح على رأسها وقال :

– مهما طال امد هذه الحرب ، ومهما حدث ، فسوف نلتقى مرة اخرى ما دمتنا على قيد الحياة ..

فهمت قائلة :

– عندما ياتى الوقت المناسب ، ارسل الى .. وسوف آتى اليك بالطفلين فى اول باخرة تبحر من ناغازاكي

وبعد برهة صمت ، قال :

– اعتقد اننى يجب ان استقل الباخرة التالية ، انها ستبحر بعد اربعة ايام . وهذه فترة كافية لاعداد كل شىء . ويجب ان امضى واخطر والدك

– لا .. لسوف اخبره انا .. اننى لا اريد ان افترق عنك لحظة فى هذه الايام الاربعة !

– الا ترين اننى اذا لم اخبره فقد يظن انى ..

– لا .. لا .. انهم جميعا سوف يتقدرون موقفك ، ويفهمون احساساتك

ثم اردفت قائلة فى زهو :

– ان اى يابانى يستطيع ان يفهم حقيقة شعورك فى مثل هذا الموقف

وجاءت اخيرا لحظة الفراق .. وكان « آى – وان » يستطيع ان يرى من شرفة بيته الباخرة التى سيستقلها فى الميناء ، وقد تصاعد الدخان من مداخنها استعدادا لاجارها ..

وكانا قد اتفقا على الا يخبرا الطفلين بشىء .. ومن ثم خرجا اليهما ، وبد كل منهما فى يد الآخر ، حيث ارباهما يلعبان فى الحديقة،

ويحاولان اقامة سد صغير على مياه الجدول. ووقف « آى – وان » ينظر اليهما ، وهما مستغرقان فى عملهما ، وقد احس بقلبه يعتمر فى صدره وينزف دما ..

وكان يسأل : هل سيراها مرة اخرى بعد ان يستدير بظهره اليهما ويرحل ؟

وخشى ان يضعف فى تلك اللحظة ، فضم « تاما » الى صدره ، وقبل وجنتها وهو يقول :

– لسوف ارسل اليكم لادعوكم ، بمجرد ان يحين الوقت المناسب ..

ثم استدار ، ومضى ..



في أرض الوطن

تعرف « آى - وان » على ظهر الباخرة بمواطن صيني عائد من أمريكا للدفاع عن وطنه ، وكان قد هاجر إليها منذ شبابه الباكر . وكان يدعى « جاكى - ليم » ، وكان يشتغل كواء في شيكاغو ..

ولما وصلت الباخرة الى شنغهاي ، صعد « آى - كو » إليها لاستقبال أخيه « آى - وان » وشعر « آى - وان » بالسورور حين رأى أن « آى - كو » لم يصحب معه زوجته الأفرنجية . وكان مرتديا ملابس ضابط برتبة كابتن ، وكانت قاهرة أنيقة جعلت « جاكى - ليم » ينظر إليه مدعوشا في شيء من الرهبة والعجب . وبعد أن تبادل الشقيقان التحية ، قال « آى - وان » :

« هذا يا « آى - كو » مواطننا الباسل « جاكى - ليم » الذى ترك أسرته وعمله في أمريكا وجاء للدفاع عن وطنه ..

وتقدم « جاكى - ليم » مترددا ، ومد يده وهو يتيمس في حياة ، ولكن « آى - كو » نظر إليه برهة متجاعلا اليد المستوية ، ثم اتحنى بإمالة خفيفة ، ثم استدار بظهوره إليه ليستأنف الحديث مع أخيه . ولاحظ « آى - وان » العرق ينصب من جبين « جاكى - ليم » وهو يعيد يده الى جيبه في خجل شديد .

وأرسل « آى - وان » نظرة غاضبة الى أخيه « آى - كو » ، ثم قال « لجاكى - ليم » :

« أرجو أن تكذب الى يا « جاكى - ليم » بمجرد وصولك الى مسقط رأسك ، واخبرنى باسم الفرقة التى سننضم إليها ..

وأرتمت إنسامة بلهاء على وجه « جاكى - ليم » وقال :

« بكل تأكيد .. اتنى لست بارعا في الكتابة .. ولكننى سأحاول

وتصافحا ، وافترقا ..

وقال « آى - وان » وهو يستقل مع أخيه السيارة الفاخرة التى كانت في انتظارهما خارج الميناء :

« ان « جاكى - ليم » مواطن طيب شديد الحماس لوطنه .. وهو ذاهب الآن الى جده في كانتون ليراه ، ثم يسجل اسمه للاشتراك في هذه الحرب ..

وكان « آى - وان » يريد أن يجعل « آى - كو » يقدر بطولة هذا الرجل الذى ترك كل شيء ليدافع عن الوطن . ولكن « آى - كو » قال باستخفاف :

« ان لدينا الكثير من امثاله .. أكثر مما تريد ! انهم حقى ، متحمسون ، ولا شيء غير هذا . لقد كادوا يصيبونا بكارثة حين أسقطوا القنابل على شنغهاي . وامس فقط أسقطوها على باخرة أمريكية ، وهم يحسبونها يابانية .. وطبعاً اضطررنا للاعتذار ودفع مئات الآلاف من الدولارات على سبيل التعويض . اننى في الحقيقة لم اعد اشعر بالفخر لاننى مواطن صينى منذ جئت ! وأدرك « آى - وان » ان الزوجة الأوروبية هى المسئولة عن هذه الحالة النفسية التى يعانها أخوه .. لا شك انها راحت تنتقد كل ماتراه ، وتشكو من كل شيء ، وتنفص حسانه بالتدريج لآل سبب ، حتى لو كان السبب حرارة الجو صيفا ..

وعاد « آى - كو » يقول :

« الحقيقة يا « آى - وان » ان اليابانيين متفوقون علينا في كل شيء .. في البحر والبر والجو .. هذا عدا الفساد الذى ينخر في قلب حكومتنا .. تصور ان امرأة هى التى تراس السلاح الجوى بأكمله ..!

« امرأة ؟ من هى ؟ ..

« مدام شيانج - كاي - تشيك ! .. انها سيده كل مؤهلاتها للوصول الى هذا المنصب هى كونها زوجة لرئيس الحكومة ! اننى سعيد لسفري الى كانتون ..

« هل أنت مسافر الى هذه المدينة ؟

« نعم .. سنسافر الاسرة كلها فيما عدا ابى .. وقد سبقتنا

فريدا منذ ثلاثة اسابيع . انها لم تستطع الحياة هنا ، كما انها رفضت الإقامة في بيت واحد مع العجائز .. انها حساسة جدا .. وكاد « آى - وان » ان يضحك وهو يسمع العبارة الاخيرة ، ولكن « آى - كو » استطرد قائلا :

— اما انا فسوف استلم منصبا تحت رئاسة الجنرال باى .. هذه هي اوامر الجنرال شيانج - كاي - تشيك

— ومتى ستسافر الأسرة ؟

— الليلة ..

وخيم الصمت على الاخوين .. وكان « آى - وان » طوال الطريق يرى آثار الدماء في كل مكان بالمدينة .. في شوارعها ، ومبانيها ، ومتاجرها ، وعلى وجوه سكانها .. واخيرا قال « آى - وان » :

— اخبرني يا « آى - كو » بحقيقة ما يجرى هنا !

فهر « آى - كو » كغيبه الزبنتين بالشرايط العسكرية ، وقال باستخفاف :

— كما ترى .. ان الناس يجررون هنا وهناك كما ترى ، بلا نظام او هدف معين ، ويبدو ان الدمار سوف يلحق كل شيء ، لان النظام معدوم هنا تماما. وان شيانج يجلس في العاصمة تانكينج كالعنكبوت في وسط بيته المنسوج ، الا انه لا يصدى ذباها .. !!

وضحك « آى - كو » مما ظنه فكاهة بارعة ، بينما قال « آى - وان » في لهفة :

— ولكن .. لا بد ان هناك خططا موضوعة ومعدة للتنفيذ في الوقت المناسب

فرد « آى - كو » قائلا :

— اننى لم ار شيئا من هذا القبيل ، وعندما عدت من ألمانيا ، كنت اظن انى سأجد جيوشا منظمة ومدربة على النمط العسكري الحديث ، ومزودة بأحدث ادوات القتال .. ولكننى فوجئت برؤية مجموعات من الجنود ، كل مجموعة تفعل ما يحلو لها ، ولا تطيع اوامر احد ، وتهجم على الاعداء في الوقت غير المناسب ، وتسحب بغير انتظام عندما لا يجوز الانسحاب !

وهنا قال « آى - وان » معرضا بأخيه :

— من العجيب ان اسمعك تتحدث عن النظام والطاعة !

واخمر وجه « آى - كو » وقال :

— تعلمت هذا في ألمانيا .. وسر تفوق الجيوش اليابانية هو النظام والطاعة . ولهذا فاننا لن نصبر ابدا طالما ان هذا هو حالنا ..

ورأى « آى - وان » ان يغير موضوع الحديث ، فقال :

— ألم يسمع احد من افراد الأسرة شيئا عن بيوتى ؟

— لا .. مطلقا .. وهذه هي نتيجة عنايتنا بها ، ورعايتنا لها ، وكأنها ابنتنا ..

— لا تنس انها كانت تعمل نظير هذا كله ..



وكان القصر كما تركه « آى - وان » تقريبا ، الا انه بدأ اكثر وحشة وكآبة وصمنا. ولم تعرفه جدته التى كان الكير فد اقتدها نور البصر ، وانقل سمعها ، وامتص ماء الحياة من جسمها ، ولكن جده كان على حاله ، وان بدأ اكبر سنا بطبيعة الحال ، لقد رآه مرتديا بذلة المارشالية ، ومزينا صدره بالنياشين والوسمة التى اشراها على مدى السنين ، وامامه الخرائط والمشروعات التى يرى ان فيها البصر المؤكد على الاعداء ..

واستقبلته امه بالدموع والقبيلات ، وقد بدت اكثر سمعة ، واكثر عمرا .. واخيرا اتبل والده من الخارج ، فعانقه ورحب به ، ثم انفرد معه في غرفة الخاصة . وكان الوالد قد بدأ اكثر هدوءا ، ولكن الشيب كان قد خط كل شعرة في راسه

قال له :

— انك لن تسافر مع الأسرة الليلة الى كانتون ، لان الجنرال شيانج - كاي - تشيك سيعد اليك بمهمة خاصة ..

ونظر « آى - وان » الى والده في ذهشة . ابريد شيانج - كاي - تشيك ان يتعاون معه ، وهو نفس الرجل الذى اراد يوما ان يقلعه ، والذى لا تشك انه قد قتل « آى - وان » وغيره من النسيان الذين كانوا يريدون اصلاح امر بلادهم !

وقال أخيرا :

— حسنا يا ابني .. كما تريد ..

ثم اردف قائلا :

— ارجو ان تأذن لي بالذهاب الى غرفتي لاستريح قليلا ..

واوما له والده يراهه ، فهض وذهب الى باب غرفته الخاصة ، ففتحها ودخل وهو يتوقع ان يرى يوني تسهل الستائر ، او ترتب الفراش ، او تزيل الغبار عن المكتب ، كما تعود ان يراها . ولكنه رأى كل شيء في الغرفة مرتبا ، منظما ، نظيفا ، كأنه لم يتركها الا في اليوم السابق

وتذكر شيئا .. تذكر الصفحات التي كان « اين — لان » قد كتب فيها تاريخ حياته ، وافضى بذات قلبه في سطورها ، فأسرع « آي — وان » الى الدرج الذي وضع فيه الصفحات تحت مجموعة مهملة من الكتب ، ولكنه لم يجد لها أثرا ! وأدرك من تراكم الغبار على الكتب ، وفي داخل الدرج ، ان احدا من سكان البيت لم يلمس الكتب اثناء غيبه .. اذن ، فمن أخذ هذه الصفحات ، وهل كانت هذه الصفحات التي سرقت سيبا في القيص على زملائه في الجمعية ، ومصرع صديقه الحميم « اين — لان » ؟!

وتفصد العرق من جبينه ، وهو يتخيل والده — لا .. ليس والده .. ان والده لم يكن يدخل غرفته هذه اطلاقا .. لا شك انها يوني .. ولعل اختفائها يفسر هذه الخيانة التي ارتكبتها .. واذا صح هذا ، فسوف يكون هو المسئول عن هذه الكارثة التي حافت برملائه ..

واستبدت به الهواجس حتى اطارت النوم من عينيه معظم ساعات الليل .. وفي الصباح ، سأل والده وهما على مائدة الافطار :

— كثيرا ما تسألت يا ابني ، خلال هذه السنوات ، عن الشخص الذي حدثك عن جمعيتنا الثورية السرية ..

واجاب ابوه بهدوء :

— انه شيانج — كاي — تشيك بنفسه ..

— عجبا ! وكيف عرف هو ؟ ..

— انه يعرف كل شيء . وكثيرا ما تحدثت معه على انفراد ، لنقرر ما ينبغي ان يصلح لبلادنا ، واتفقنا على ان تقدم له — نحن اصحاب الاموال — ما يحتاج اليه من قروض لتحرير الوطن من الفساد ، بشرط ان يقضى على الشيوعيين جميعا . ولما اطلعني على القائمة التي تحمل اسماء افراد جمعيتكم ، فوجئت باسمك بينها .. وعندئذ اقسمت له ان ارسل بك الى خارج البلاد حتى ينضج تفكيرك ، وتعلم ان الامم لا تنهض على مثل هذه المبادئ الهدامة !

— ألم يخبرك عن اسم الشخص الذي قدم اليه القائمة ؟!

— نعم اخبرني .. انه زميل لكم يدعى « بنج — ليو »

وتنهده « آي — وان » في اربابح وقال :

— اذن فهو الخائن ..!

وقتل والده في ازدرأء :

— وكان هو اول من علق في المشنقة .. ان شيانج لا يحب

الخونة ، ايا كانت الفائدة التي يجنيها منهم ..

فقال « آي — وان » مدهوشا :

— ولكن كيف يفر به وبرشوه ويستفيد منه ، ثم يقتله ؟

— لانه يعلم ان الذي يحسن زملاؤه ، لا يتورع عن خيانة

رؤسائه . وهو رجل حازم قوى غنيف ، الا انه صادق مع نفسه

.. انه يفهم كل شيء ، ويكتسح امامه جميع الذين لا يثق فيهم

بعد ان يستنفذ اغراضه منهم

— انه في هذه الحالة يكون انتهازيا !

فهب الوالد كنفبه ، وقال :

— ان الانتهازية قد تكون في بعض الظروف حكمة وفضيلة ، تماما

كالانتحار في المعركة .. اذا ثبت ان الصمود لن يؤدي الا الى مزيد

من الخسائر !

ونقر الوالد على المائدة ، وقال :

— تؤكد لك يا « آي — وان » ان هذا الرجل هو الوحيد في

الوقت الحاضر الذي يستطيع ان يوحد قوى البلاد لمقاومة الغزو

الياباني . وهذا ما جعله يقضى على الشيوعيين حتى لا تقوم الحروب

الاهلية بينهم وبين اصحاب المذاهب الاجتماعية الاخرى ، فنشرف

وحدة البلاد .. وبتنزه اليابانيون الفرصة فيلتهمونا جميعا ..
وفجأة قال الوالد ، بغير موضوع الحديث :

– كيف حال زوجتك اليابانية ؟ اعتقد أنك كنت أكثر توفيقا في الزواج من أخيك « آى – كو » .. ان زوجته البيضاء ساخطة هنا على كل شيء . ولكننى صرف ان الزوجة اليابانية هي احسن زوجة في العالم . انها تدرك تماما ان مكانها يجب ان يكون بجانب زوجها في جميع الظروف . ولهذا باركت زواجك بها . واعتقد ان هذه الحرب لن يكون لها اثرها السبىء على علاقتكما . ان الحمقى والجهلاء فقط هم الذين يخلطون بين العلاقات البشرية العامة ، وبين سياسة الدول وخلافاتها !

وامتلا قلبه بالعرفان لايه الذى كان صوته عندئذ مفعما بالحب والحنان . وأحس بالرغبة في ان يقول له كل شيء عن « تاما » .
وأخيرا قال :

– انها زوجة رائمة با أبى .. لم ارفق حياتى انسانة ودية مث لها .. انها متفانية في الاخلاص لى ، وانا لا افكر فيها على انها يابانية ، وانما على انها زوجتى وشريكة حياتى وام ابنتى ..
وقال الوالد وقد بدا كأنما يفكر فى شيء آخر :

– أجل ، أجل .. ولكن .. كيف ستتراسل معها ؟ ان من الخطر في الوقت الحاضر ان تراسلا مباشرة . ولهذا اقترح ان تراسلا عن طريق البنك .. فهذا اسلم ، لانه لو علم احد من المتوسمين أنك تراسل زوجة يابانية ، فرما اشتاك . ولهذا ارسل خطابك على عنوانى بالبنك ، وسوف ارسلها اليها عن طريق شركة ايبيها . واطلب منها ان تفعل المثل ..

وأزداد احساس « آى – وان » بالعرفان لجميل اييه ، ولكنه قال :

– شكرا جزيلبا يا أبى . ولكن ، الا يعرضك هذا للخطر ؟
فابنم والده ، وقال :

– لا .. انهم جميعا يعرفوننى ، ولا يجرؤ احد على اغتيالى ، لانى صديق شخصى لشبانج – كاي – تشيك . والجميع يخشونه ويهابونه . وسوف ترى بنفسك حين تقابله انه يبعث الرهبة في النفس ..

المفصل السابع عشر

مفاجأة العمر

وأحس « آى – وان » بالرهبة قبل ان يدخل مكتب الجنرال شينانج – كاي – تشيك . لقد استقبلته في غرفة الانتظار بمركز القيادة العامة في نانكينج سيدة شابة صينية الملامح ، اوروبية السمات .. في حركاتها وسكناتها وطريقة حديثها . وعلم انها زوجة الجنرال الاخرى التى تزوجها بعد ان طلق جميع زوجاته الاخريات ، وانها سكرتيرة الخاصة ، ورئيسة السلاح الجوى ايضا ..

قالت له بعد ان استقبلته :

– ارجو ان تكون على حذر ياسيدى .. ان الجنرال لا يحب ان يتحدث احد معه بغير اللغة الصينية ، وهو بغضب جدا اذا دخل احد بعض الكلمات الاجنبية في حديثه معه . وكثيرا مايقول :

« اليت اللغة الصينية قادرة على التعبير عن كل شيء »

ورد « آى – وان » قائلا وهو يبادلها الابتسام :

– اطمننى ياسيدتى ، ساكون على حذر في هذا الشأن ..

ولما دخل على الجنرال ، وجده جالسا الى مكتبه ، مهيب السمات فعلا ، مزوم الشفتين وهو يقبل في بعض السجلات امامه . واخيرا رفع راسه الى « آى – وان » ونظر نحوه بشات برهة ، ثم قال :

– ان والدك صديقى ..

وانحنى « آى – وان » في احترام ، بينما استطرده الجنرال قائلا وهو يناول خطابا محتوما بالسمع الاحمر :

– ان لهذا الخطاب اهميته البالغة . واريد ان تسلمه الى قائد معين في الجيش الشيوعى ، وهو سبيلمه بدوره الى اثنين من قواد هذا الجيش

وقال « آى - وان » :

- حسنا ياسيدى ..

ولكنه في الوقت نفسه لم يستطع ان يفهم كيف يرأسل هذا الرجل اعداءه الذين اراد يوما ان يلذبحهم عن آخرهم . وقبل ان يمعن التفكير في هذا الشأن ، سمعه يقول :

- لقد اخترتك لتسليم هذا الخطاب لان والدك اكد لى انى استطيع ان اضع ثقتى فيك .. فاذا ثبت العكس ، سوف يكون مصيرك هو نفس مصير كل خائن ! .. اننا نمر بطروف لامحال فيها للرحمة .. ان والدك يعرف هذا ، وينبى ان تعرفه ايضا ، وان طائرتى الخاصة معدة لك .. وسوف ترحل عليها فوراً ..

وقال « آى - وان » :

- لحظة واحدة ياسيدى الجنرال .. هل انتظر حتى آى بالرد ؟
- سوف تنتظرك الطائرة حتى تعود بك ..

ثم ضغط على زر جرس امامه ، فانفتح الباب ، ورفع « آى - وان » يده بالتحية العسكرية على الطريقة الالمانية . وعندئذ سأله الجنرال بحدثة :

- هل انت ايضا مدرب عسكريا ؟ لقد ظننت ان اخاك فقط هو الذى تلقى علومه العسكرية في الخارج ..
- اتنى لم اذهب الا الى اليابان ..

- وهل تعلمت الفنون العسكرية هناك ..

- لا .. تعلمتها في بيت اى على يدى ضابط المانى ...

وضغط الجنرال على جرس امامه ، ففتلق الباب مرة اخرى ، ثم قال لـ « آى - وان » :

- قيل لى ان اليابان على وشك الانهيار داخليا ، فهل هذا صحيح ؟

- لا .. هذا ابعده شئ عن الصحة ..

- وهل الرخاء موفور هناك ؟

- اجل ..

- قيل لى ان اليابانيين لا يريدون الحرب . فهل هذا صحيح ؟

- انهم على ولاء كبير لحكومتهم ..

- هل انت واثق مما تقول ؟

- كل الثقة ..

- وهل هم لا يزالون يعبدون الامبراطور ؟

- اجل ..

وهز الجنرال راسه ، ثم قال في صوت يتم عن الامسى :

- اذن فهم يكذبون على .. هؤلاء الذين حولى . انها ستكون حربا طويلة الابد !

- نعم ياسيدى الجنرال .. يجب ان نوطن انفسنا على انها حرب طويلة الابد !

واوما الجنرال برأسه ، وقال :

- هذا يعنى ان علينا ان ندعمهم يستنفدون قواهم كلها ، ونشرونها في اكبر مساحة ممكنة ، ثم نبدأ في الهجوم عليهم وطردهم بعد ان نستكمل جميع استعداداتنا ..

وفتح الباب ، واطلت مدام شيانج - كاي - تشيك برأسها وقالت :

- اليس من الافضل ان يبدأ المستر « آى - وان » رحلته الآن حتى يتمكن الطيران من الهبوط في منتصف الطريق قبل الغلام ..
- اجل .. اجل . اذهب يا « آى - وان »

☺

واحس « آى - وان » وهو يطير في سماء بلاده بالزهو يملأ قلبه . لقد طار على الجزر اليابانية ، وامكنه الآن ان يقارن بين تلك اللخنة من الجزر المنتائرة في المحيط الهادى ، وبين هذه السلاسل الشاسعة الواسعة التى يتكون منها وطنه . وضع الزهو ، احس بالاس . لتظل الحرب او تقصر ، فليس في هذا العالم قوة تستطيع ان تسيطر على هذه السلاسل الترامية الاطراف ، التى لا تزال مساحات كبيرة منها عذراء لم تلمسها قدم رجل اوروبى !

وظلت الطائرة محلقة من الضحى الى مابعد العصر . وكان يقودها طيار امريكى شاب قدمته مدام شيانج - كاي - تشيك الى « آى - وان » قائلة :

- هذا هو الطيار الكابتن ماجورك بامستر « آى - وان »

وكان ذلك يعد ان سعد « آى - وان » الى الطائرة واتخدمجله فيها . وقد سلمت مدام شيانج - كاي - تشيك الى كل منهما كيبا صغيرا وهي تقول :

- هذا هو طعام الغداء ..

وكان « آى - وان » قد تناول من هذا الكيبس طعام الغداء المكون من رغيفين من الخبز الافرنجى ، وبعض شرائح اللحم والمشيات .. وعندما اوشكت الشمس ان تغيب ، اذا بالطائرة تهبط في حقل غير مرودع في مكان ما غربى الصين ..

ومضى الكابتن ماجورك ب « آى - وان » الى حانة قريبة من ذلك الحقل ، تعود ان يبيت فيها كلما هبط في ذلك المكان ليلا . وبعد ان تناولوا طعام الغشاء ، اوبا الى الغرفة المخصصة لهما .. وهناك قال الكابتن ل « آى - وان » :

- هل زرت الولايات المتحدة الأمريكية ؟

- لا .. ولكن يبدو معا فرات عنها انها بلاد لطيفة ..

فقال ماجورك بحماس :

- انها جنة الله في ارضه .. ولست ادري لماذا لا استقر فيها ، اتنى كلما ذهبت اليها لاستقر ، شعرت بالحنين للعودة الى هنا .. يبدو ان نداء الغامرة هو الذى يدعونى !

ونهض الاثنان في الصباح ، وتناولوا افطارهما بسرعة ، ثم هرعا الى الطائرة التى كانت في حراسة بعض الجنود المنطوعين .. وحلقا بها في الطريق الى نهاية الرحلة . وكانت الطائرة في هذه المرة تحلق نحو الشمال الغربى فوق سلاسل من الجبال والصحراوات والسهول البرية الجرداء ، ولما مالت الشمس نحو المغرب بعد الظهيرة ، اشار ماجورك الى مكان ما تحته وقال :

- سوف نهبط هنا .. لقد وصلنا ..

واغلق المحرك ، ولم تلبث الطائرة ان هبطت كالحمامة ، على ارض واسعة ممبدة خارج اسوار احدى القرى ..

واسرع نحوهما الفلاحون من حقول الارز ، بملابسهم القطنية الزرقاء ، وقال ماجورك باسمه وهو يهبط مع « آى - وان » من الطائرة :

- انك الان في قلب المنطقة الشيوعية ، وهانتذا تراهم آدميين تماما مثلنا . والواقع انهم اشخاص لاباس بهم . وانى احب زميمهم الذى ساسحك الان اليه .. انه انسان على جانب كبير من الكياسة واللفظ ..



كان « آى - وان » مؤمنا في قرارة نفسه بان « ابن - لان » مات قتيلًا ، بحيث رفض اطلاقا ان يصدق عينه حين مضى به الكابتن ماجورك الى زعيم القوات الحمراء ، فاذا هو نفسه « ابن - لان » في ملابس عسكرية قديمة عادية

كان جالسا الى منضدة من الخشب ، في غرفة غير مرصوفة باللاط ، وليس بها الا مقعدان من الخشب ايضا . ولما رفع وجهه ، اخذ الاثنان بتبادلان النظر في ريبة وعجب بعد عشر سنوات من الفراق . وكان الكابتن ماجورك في تلك اللحظة يقول :

- ان المستر « آى - وان » يحمل رسالة خاصة من الجنرال اليك ..

ولكنهما لم يكونا ينصتان اليه .. وانما كانا يحملقان ، كل في وجه الآخر ، واخيرا قال « ابن - لان » ببطء :

- انك لست « آى - وان » !

- انه انا .. ولكن كيف استطيع ان اصدق انك « ابن - لان » ؟ واخذ كل منهما يقترب من الآخر ، ثم يتحسس ذراعيه وتكتيه ووجهه ، ثم اذا هما في النهاية يتعانقان ..

وقال « ابن - لان » :

- ابن ذهبت ؟ اتنى لم اسمع عنك شيئا .. كل ما عرفته ان بيونى امرت الينا في صباح ذلك اليوم المشهود حيث كنا مجتمين ، ولكنك لم تأت . وانتظرناك الى آخر اللحظة ، ونحن نتوقع ان نراك وقال ماجورك :

- آه ! ايعرف احدكما الآخر ؟ حسنا .. لا داعى لبقائى هنا . لسوف امضى الى الطائرة لاصح من شأنها وانظف محرركاتها .. ولم يره احدهما او يسمعه ، وانما كان « آى - وان » يقول :

- بيونى ! اذن فاليكم ذهبت حين غادرت القصر ؟

— نعم .. وهى هنا الآن ، معنا .. انها زوجتى منذ عشر سنوات ..!

وصفق « اين — لان » وسرعان ما اقبلت بيونى .. بيونى نفسها ، ولكن بلا بدىن عاطفتين ، ولا انواب حربية ، وانما فى ثوب عسكري ، وبدين خشنتين ، وشعر مهوش ، ووجه ضاحك ..
واندقت اليه تعاقفه ، وهى تهتف :

— دآى — وان .. دآى — وان .. دآى — وان .. وان ..

وقال « آى — وان » بعد ان افاق من مفاجأة العمر هذه :

— اسمح لى ان اجلس .. فان ساقى ستخذلاننى من فرط المفاجأة ، اننى لا اكاد افهم شيئا .. بل انى اشعر كأنى فى حلم !

وبعد ان مسح العرق عن جبينه ، قال ليونى :

— كيف حدث هذا ؟ كيف تزوجت « اين — لان » رغم أنك كنت دائما تسخرين من مبادئه الثورية ؟

— ولكننى لم اكن أسخر منه هو .. لقد عثرت على تاريخ حياته فى تلك الصفحات التى كانت موضوعة تحت كتب قديمة فى أحد الادراج . وبعد ان قرات هذا التاريخ ، احسست ان حياتى سوف ترتبط بحياة صاحبه .. ولم تخطف مشاعرى !

وقال « اين — لان » بدافع الفضول :

— واثت يا « آى — وان » .. هل تزوجت ؟

— نعم .. منذ عشر سنوات أيضا ..

— ولك ايناء ؟

— طفلان ..

وكاد « آى — وان » ان يحدثهما عن زوجته اليابانية وطفليه ، ولكنه قرر ان يخفى هذه الحقيقة ، وهو يتذكر مدى كراهية « اين — لان » لليابانيين بوجه عام ..

وقال « آى — وان » وهو يقدم الخطاب المختوم الى « اين — لان » :

— اليسى من العجيب ان يكون شيانج — كاي — تشيك هو الذى يجمع بيننا الآن بعد ان كان سبب فرقنا ؟

القبيل الثامن عشر

اللقاء الخطير

تناول « اين — لان » الرسالة المختومة بالشمع الاحمر ، وهو يقول :

— كنت انتظر هذه بين لحظة وأخرى .. ولكن لم يخطر ببالى يا « آى — وان » انك ستكون الرسول بيننا وبين « شيانج — كاي — تشيك » . حسنا .. يجب ان أحملها فوراً الى اعضاء مجلس القيادة . انهم فى الانتظار .. وأرجو ان تبقى حتى اعود اليك

ولما انصرف من الغرفة ، وأصبح « آى — وان » بمفرده مع بيونى ، نظر اليها ، ونظرت اليه .. ثم لم تلبث بعد لحظة صمت ان راحت تسأله عن جديه والديه وأخيه « آى — كو » فراح يحدثها ببساطة عن افراد أسرته جميعا ، وذكر لها ان « آى — كو » قد تزوج أيضا ، ولكنه لم يخبرها انه تزوج عروسا أوروبية ، وكذلك أبى — غريزيا — ان يحدثها بشيء عن « تاما »

وفيما كانت تنصت اليه ، بدا وجهها فى نظره يستعيد ظلمه الأول الذى طالما عرفه ، ولكنه ظل يحمل طابع السنوات العشر ، كما كان وجه « اين — لان » يحملها أيضا ، والواضح انها كانت سنوات من الكفاح المرير ..

وعاد « اين — لان » الى الغرفة بوجه ينم عن الوفاق والجد ، ولكن عينيه كانتا تنالقان بالحبوة والنشاط ، وقال ليونى :

— ان ما كنت اتوقعه بفارغ الصبر قد حدث يا بيونى .. ان الجنرال شيانج يريد ان تتحد قواتنا ضد العدو المشترك !
وارسلت بيونى صيحة ابتهاج ، بينما استظرد « اين — لان » يقول :

لواجهة العدو المشترك . اننى اريد منكم ان تنسوا انفسكم ..
ان تنكروا مصالحكم الخاصة .. ان تكتبوا مشاعركم اللادية ..
واذكروا فقط بلادكم .. الصين

وخيم الصمت على الجميع .. وكأنت بيونى تكتب باصبعها
على الأرض كلمة « الصين » اما « اين - لان » ، فقد عاد بهتف
قتلا بعد ان تحدث طويلا في هذا الشأن :

- الذى يوافق على هذا الراى يرفع يده اليمنى ..
وارتفعت في الجو مئات الايدي ، وهنا قال « اين - لان » :
- والذى يعارض الان يرفع يده اليسرى ..

ولم ترتفع يد واحدة .. وعندئذ اخنى « اين - لان » راسه،
ثم استدار ببطء وتحرك بعيدا . وسرعان ما نهض الجميع واقفين،
وانصرف بعضهم ، ووقف بعضهم الآخر في حلقات يتبادلون
الحديث ..

وانتهى الاجتماع ، ورأى « آى - وان » صديقه « اين - لان »
بتجه نحو غرفته البسيطة في مركز القيادة ، وهنا وثبت بيونى
واقفة ، وقالت :

- يجب ان اسرع اليه .. انه دائما يبدو مجهدا بعد مثل هذه
الاجتماعات ..

ومضى « آى - وان » نحو الطائرة التى كان ماجورك الأمريكى
يضع الزيت في محركها ، وقال له :

- متى سنعود ؟
- فى الرابعة صباحا ..
ثم دنا الأمريكى الى « اين - لان » الذى كان فى طريقه الى
مركز القيادة وأردف قائلا :

- هل تحقق له ما اراد ؟
- اجل ..
- انه رجل عظيم .. لا يقل عظمة عن شيانج . ولكننى اكثر
اعجابا بشيانج لانه رئيسى المباشر
وقال له « آى - وان » :

- كثيرا ما قلت لك ان الجنرال شيانج رجل عظيم ، وقد اثبت
انه ايضا رجل حكيم بعيد النظر يضع مصلحة البلاد فوق كل
منازعات مذهبية .. حسنا ، على الان ان اتبع الجنود بهذا ..
لسوف اعقد اجتماعا مع رؤساء الوحدات العسكرية لابين لهم
فوائد اتحاد قواتنا في المعركة مع قوات الحكومة ..

قالت بيونى بحماس :
- هل اذهب واطلب منهم ان يقرعوا النافوس للاجتماع ؟!
- اجل يا بيونى ..

جلس « آى - وان » بجانب بيونى على الارضية الجافة
لساحة التدريب العسكرية ، وكانت جموع رؤساء الوحدات
العسكرية التابعة لقيادة « اين - لان » جالسة بغير انتظام ،
ووجوههم جميعا مرفوعة الى « اين - لان » الواثق بالقرب من
« آى - وان » استعدادا للحديث معهم ..
وارتفع صوته واضحا عاليا ، وهو يقول :

- انتم تعرفون ماذا فعلنا .. فمئذ ست سنوات اعلنا الحرب
على اليابان ، وقد ضحك العالم علينا يومئذ . ولكننا بعد ثلاث
سنوات قمنا بزحفنا التاريخ الطويل ، وقد تمزقت اقدامنا ،
وانهارت ابداننا ، ومات الكثيرون منا ، ولكننا كنا نعرف من هو
العدو الحقيقى لنا . انه لم يكن شيانج - كاي - تشيك الذى
طاردنا بقنف الى داخلية البلاد ، وانما عدونا الايدى هو اليابان.
وان الذى استطاع ان يطاردنا ويحارب اليابانيين فى آن واحد ،
يستطيع الان ان يطارد اليابانيين اذا نحن اتحدنا معه . انه الرجل
الوحيد الذى يجب ان نسير جميعا وراءه نحو النصر ..
وارتفعت الاصوات عالية مدوية :

- بل انت يا « اين - لان » .. انت .. انت .. انت ..
فصاح « اين - لان » قائلا :

- لا .. ان الوقت لم يحن بعد لان اكون انا القائد نحو النصر،
ولهذا يبقى ان تواجه الامر الواقع ، وان نجعل مصالح البلاد
فوق كل مصلحة اخرى . اننى اطالبكم بالاتحاد مع قوات الحكومة

— سوف اكون هنا في الرابعة صباحا ..

واصبح « آى — وان » بعد ذلك ضابط اتصال بين شيانج — كاي — تشيك وصديقه: « اين — لان » . وكان يحمل الى كل منهما آراء الآخر ، ويعمل على تنسيق الخطط بين القوات التابعة للجيشين .. وكان شيانج قد تخلى عن تانكج ، واستعد لاختلاف كاتون ، وكانت شنفهاى قد استسلمت للاعداء قبل ذلك . ولكن شعائر المحاربين الصينيين كان يدور يومذاك حول بث روح المقاومة في الشعب بصرف النظر عن سقوط المدن ، لان هذه يمكن استردادها في الوقت المناسب !



وكانت اساليب الحرب التي يتبعها « اين — لان » تختلف كثيرا عن اساليبها التي يلتزمها شيانج — كاي — تشيك . كان « اين — لان » وزملاؤه القواد قد قرروا ان يحاربوا الغزاة اليابانيين بطريقة « اشرب واهرب » وهي طريقة حرب العصابات التي ثبت نجاحها في مختلف الدول المتاخلة ضد قوات عدو اقوى منها ، وهكذا كان جنود « اين — لان » يعملون في الصباح بزراعة الأرض ، ويبعدون كاي مزارعين مسالين ، ويتظاهرون حتى بالبلهه اذا جاء الجنود اليابانيون يسألونهم عن اماكن رجال العصابات ، ولكنهم يتحولون في الليل الى محاربين اشداء ، وفدائيين لا يسبق لهم غبار .. فكانوا يتقنون في وحدات قليلة على الحمايات اليابانية المنفرقة ، فيقبضون على رجالها بسرعة ، ثم يرتدون كالاتياع الى معاقلم الجبلية .. حيث يقضون بقية الليل ، قبل ان يعودوا الى مزارعهم في الصباح !

ولما اصعب « آى — وان » بهذه الطريقة ، رتب مقابلة بين « اين — لان » والجنرال شيانج — كاي — تشيك ، وكانت النتيجة ان اعلن الجنرال تخليه عن الحرب النظامية امام قوات موقورة العناد ، رائعة التدريب ، والتجائه الى حرب العصابات التي تناسب بلاده ، وتلائم طبيعتها كل اللامعة ..

وكان « آى — وان » في خلال هذا كله يرأسل زوجته « تاما » التي كانت تبعته اليه برسائلها المعنمة بالاخلاص والتقدير ،

والتي كانت تذكر له فيها كل شيء عن طفليه بالتفصيل ! وقد اعرسته عن استعادها للحضور اليه مع طفليها حتى والحرب قائمة ..!

وفي ذات يوم ، وكان قد امضى بضعة شهور مع « اين — لان » مشتركا في حرب العصابات الجبلية ، فوجيء بطائرة الجنرال شيانج — كاي — تشيك تهبط في ساحة التدريب ، ثم يقفز منها الكابتن ماجورك ، ويسرع نحوه ويقول له بعد ان يحييه :

— ان الجنرال يريدك لامر هام ، فارجو ان تستعد للرحيل بعد ان اعد الطائرة لرحلة العودة ..

ودهنس « آى — وان » لهذه الدعوة المفاجئة ، وخشى ان يكون الجنرال قد علم بامر زوجته اليابانية « تاما » فقرر ان يستدعيه ، ويطلب اليه ان ينفض يديه منها ومن طفليه تماما .. فلو صح هذا ، فماذا يفعل ؟

ووجد نفسه يهز راسه في عناد واصرار ، ويقعّم كأنما يحدث شخصا امامه : « لا .. حسبي اني تركت عملي وزوجتي وابنتي لاشترك في الدفاع عن وطني ، واكثر من هذا لن افعل »



وحملته الطائرة الى مقر قيادة الجنرال شيانج في هانكار ، ولشبهه ماكانت مفاجاته حين راي مركز القيادة هذه المرة لا يبدو ان يكون بينا صغيرا من الاجر ، ولما صلصل جرس الباب ، فتحه له خادم في ملابس بيضاء ، وقد بدا من سمته انه كان يتوقع وصوله .. ثم قاده الى غرفة انتظار ، وطلب منه ان يمكث فيها قليلا ثم انصرف ، وما هي غير لحظات حتى فتح الباب مرة اخرى ودخل والده ، فنهض « آى — وان » واقفا وقد ازعجه ما بدا على الوالد من تحول وحزن واكتئاب ، وقبل ان يقول شيئا ، قال له الوالد بصوت الرجل المرهق :

— اجلس يا ولدي ..

وجلس « آى — وان » وراح ينظر محزون النفس الى ابيه الذي كان قد مضى عليه نحو عام دون ان يراه ، ثم قال اخيرا :

— ماذا بك يا ابي ؟

فهو الرجل الكهل راسه في أسى ، وقال :

— لا شيء أكثر من أن هذه الحرب سوف تقضى علينا بهذه
الطريقة أو بتلك ، لقد استلمت منذ أيام رسالة من نانكج ..
نانكج التي ساهمت في إقامتها على أحدث طراز عصرى ،
واشتركت في رصف شوارعها وإقامة مؤسساتها وإنشاء حدائقها
وتقديم القروض لأصحاب المباني فيها .. نانكج هذه قد دمرت
الآن وأصبحت خراباً

فهتف « آى — وان » قائلاً في فزع :

— هل تعنى انها .. تحطمت تماماً ؟

— ان ما لم ينحطم منها أصبح في يدي الإعداء ..

ثم انحنى الرجل الكهل ، وقال في قلق شديد :

— ان الذى يزعجنى ويفزعنى حقاً ليس موت الرجال والنهار
البيوت ، وإنما انتشار الأفيون وببعمه في الأسواق بأمر اليابانيين
.. انهم بهذه الطريقة سيحطموننا تماماً ..

ولشد ما فزع « آى — وان » حين رأى الدموع تتحدر بفزارة
على وجنتى أبيه . وكانت تلك أول مرة يرى اياه يبكى ، ومن ثم
أحس كأن كل عبرة من دموع أبيه ، جمرة تحرق شيئاً في أعماق
نفسه . ومسح الوالد دموعه ثم قال :

— معلدرة يا « آى — وان » .. ان هناك أسباباً كثيرة أسالت
هذه الدموع ، وانى لأرجو أن تستطيع الذهاب معى بضعة أيام
الى ضياعنا ، انها الضياع التى ستكون لك ولأولادك يوماً ..

ودهش « آى — وان » حين سمع والده يخصه بالضياع دون
أخيه « آى — كو » .. ولكنه علم السر فيما بعد ، وأردف الوالد
يقول :

— ان ضياعنا في الأقاليم الداخلية بالصين . ولعل هذه الأقاليم
هى التى ستبقى لنا في النهاية حتى يحين الوقت المناسب لطرد
الغزاة . اننا الآن نقوم بنقل كل شيء الى هذه الأقاليم .. المدارس
والمصانع والمؤسسات والبنوك ..

وقال « آى — وان » بدهشة :

— هل ينوى الجنرال أن يتخلى عن هاتكاو أيضاً ؟

— نعم .. ونحن نرجو ان يكون مصيباً في هذه الخطل ، والا
فقد ضاعت الصين !

وساد الصمت الثقيل برهة .. ولم تلبث مدام شيانج أن أقبلت
قائلة « لاى — وان » :

— ان الجنرال في انتظارك مع الوالد ..

ودخل « آى — وان » مع أبيه ، وحيا الجنرال .. ثم جلسا
برهة ريثما قدمت مدام شيانج الشاي اليهما ، ثم انصرفت .
وأخيراً قال الجنرال فجأة ، وبلا مقدمات :

— لقد أرسلت اليك لسببين .. الأول لآخرتك بمقتل أخيك
« آى — كو »

وخيل الى « آى — وان » انه لم يفهم شيئاً ، وأحس براسه
كأنه يدور في الهواء ، ونظر الى أبيه ، فرآه مطرق الرأس في ذلة
وانكسار . وقبل ان يقول شيئاً ، استطرده الجنرال بقول بلهجة
الحاسمة القاطعة :

— سوف تريد ان تعرف كيف مات .. مات ميتة كل خائن
لبلاهة . لقد عرف انه — هو وخمسة من زملائه — يعملون على
قلب نظام الحكم ، واجراء صلح مع اليابان

وتناول الجنرال قصاصة ورق من فوق المكتب ، وقدمها الى
« آى — وان » قائلاً :

— في هذه الورقة أسماء الخونة الخمسة .. وقد كتبها
الصينى « جاكى — ليم » .. فحلق « آى — وان » في وجهه
الجنرال شيانج ، وقال :

— « جاكى — ليم » .. الصينى العائد من امريكا ؟

— اجل .. ولا تحقد عليه .. انه رجل أمين شريف بسيط
النفس ، وقد ساءه ما سمع من اشتراك أخيك في هذه المؤامرة ..

ولم يجزئ « آى — وان » أن يسأل الجنرال : كيف يحكم على
أخيه بالخيانة ثم بالإعدام بناء على شهادة رجل آخر قد يكون
موتوراً او خافداً لسبب ما !

ولكنه لم يتمالك نفسه من ان يسأل قائلاً :

— وأين « جاكى — ليم » الآن ؟

— أعدته الى وحدته العسكرية ليواصل الحرب .. ولا اعرف ماذا حدث له :

وبعد برهة من الصمت ، قال الجنرال :

— اعتقد ان ما حدث لاخيك كان بسبب زوجته الاجنبية .. انها هي التي جعلته يحتقر ابناء وطنه ، وقد اصدمت امرى باعادتها الى وطنها فوراً ..

وعندئذ قال الوالد بصوت منكسر :

— اجل يا شبانج .. انها هذه الزوجة الافعى ، لقد نفثت سمومها في ابني ، وجعلته ينقلب على موطنيه .. واني اشكرك على اعادتها الى بلادها ..

ولما تهدج صوت الوالد ، قال له الجنرال في اشفاق :

— يمكنك ان تخرج الان يامسستر واو ، انك في حاجة الى الراحة ، واحب ان اتولى لك ان ما حدث لابنك لن يكون له اى تأثير على صداقتنا الشخصية !

وتنهض الوالد وانحنى باحترام ، ثم غادر الغرفة ..

وفجأة قال الجنرال شبانج لـ « آى — وان » :

— لقد اصحت الان الابن الوحيد لايبك ، ولاسرتك .. ونحن في غير حاجة الى الجنود القتالين ، لان لدينا اكثر من حاجتنا منهم ، وانما نحن الان احوج ما تكون الى مضاعفة الانتاج الزراعى حتى نستطيع ان نوفر للشعب ، وللمحاربين .. الضرورى من الطعام ، وقد استقر الراى على ارسالك الى شبانج الامرة لتتولى ادارتها ومضاعفة انتاجها ..

وقبل ان يرد « آى — وان » بشئ ، قال الجنرال وهو مقطب الجبين :

— انك متزوج من فتاة يابانية .. اليس كذلك ؟

— اجل ..

— قبل ان اسرفك الان ، اريد ان اطمنن على ان هذه الزوجة اليابانية لم تترك في نفسك عين الامر الذى تركته الزوجة الاوروبية في نفس اخيك ..

وجمع « آى — وان » كل ما لذبه من شجاعة معنوية ، وقال :

— وكيف تريد ان تطمنن يا سيدى الجنرال ؟

— هل يمكنك ان تتخلى عنها نهائياً ؟

— بامر منك ؟ ..

— نعم ..

— لا .. لا استطيع ..

ثم قال بصوت الانسان الذى قرر ان يحتفظ بكل حقوقه الشخصية :

— لقد تركت عملى وزوجتى وابنائى وجنتا بمغردى للاشتراك في الدفاع عن الوطن .. وباكثر من هذا لا استطيع ان اضحى ، وعندما يسود السلام ، سوف ادعو زوجتى للاقامة معى هنا ، ان ابنائى صينيون بالجنسية ، وان زوجتى وفية لى ، مقدرة لظروفى ..

ورمقه الجنرال بنظرة حادة ، ثم قال :

— اى نوع من النساء زوجتك هذه ؟

فتناول « آى — وان » من جيبه بعض رسائلها اليه ، وقدمها للجنرال الذى راح يقرأ فيها عبارات « تاما » النابضة بالحب والتقدير والاعجاب ، والزخرفة بنفاصيل حياة الطفلين . وكانت كل رسالة تنتهى بهذه العبارات :

« اننا نضع الزهور كل يوم حول صورتك ، ونصلى من اجلك واجل السلام ، وننتمنى ان ترى اليوم الذى يجتمع فيه شملنا مرة اخرى .. انتى احدث طفلفتنا عنك وعن شجاعتك وتفانيك في حب وطنك حتى اصبحت في نظرهما بطلا عظيماً .. »

وكان « آى — وان » يوقب وجه الجنرال شبانج ، وهو يقرأ هذه الرسائل .. فلما فرغ منها ، رفع وجهه ، ثم ايسم لاول مرة ، وقال لـ « آى — وان » :

— اكتب اليها واخبرها اننا سنستخدم الاجراءات اللازمة لاحضارها مع ولدك اليك في اقرب فرصة . والان ، يمكنك ان تنصرف استعداداً لاستلام شبانج ابيك وادارتها ومضاعفة انتاجها .. وضغط الجنرال على الجرس ، فلما اقبلت مدام شبانج ، قال لها :

— ابن خريطة مشروع الطريق الجديد المؤدى الى بورما ...
 لقد كانت في بدي منذ لحظة ..
 فضحكت زوجته وقالت :
 — انها لا تزال تحت يدك على المكتب ..

اشترك في روايات المهلك

(أسعار الاشتراك على الصفحة التالية من ا

وكلاء روايات الهلال

- مكتب دار الهلال شارع ابراهيم
 الحوراني - محطة الداموق
 صندوق البريد ٢١٩٦ بيروت
- السيد محمود حلمي - المكتبة
 العصرية - بغداد
- السيد نخلة سكاف
- السيد هاشم بن علي نحاس -
 ص . ب ٤٩٢
- السيد مزيد احمد المؤيد
 صندوق البريد رقم ٢١
- Dr. Michel H. Thamer, T. 100, 131, Cologne
 Fax 3
 S. Andor, S. 10, 9, 10a, 10b, 10c, 1
- Mr. Hassan Ali H. H.
 P. O. Box 260
 ACCRA - GHANA
- Mewar, Alie Mustapha, 5, 1-0
 P. O. Box 411
 Freetown, Sierra Leone
- Ahmed Bin Mohamed, 10, 10a, 10b
 Almazan, Ajlun, Amman
 P. O. Box 229
 SYDNEY
- The Arabic Publishers, 1, 2, 3, 4, 5
 Barton,
 7, Bishara Street, 1, 1-1
 London, W. 1, 2,
 ENGLAND
- Mr. Mohamed El-Masri
 Al-An Library, 1, 1-1
 175, Nureh, Ankara 2,
 Turkey

وانصرف « آي - وان » وهذه الكلمات ترن في اذنيه : الطريق
 الجديد نحو بورما .. هل تم انشاؤه فعلا ؟ لقد سمع ان الآفا
 من الرجال والنساء يعملون فيه. حسنا ! ان المشروعات الاصلاحية
 تجري جنبا الى جنب مع الحرب . واذا كان الاعداء يضررون
 بالقنابل المدن الساحلية ، فان المواطنين ينشئون الطرق الجديدة
 الى الاقاليم الداخلية .. ولا شك ان هذه الطرق ستكون سببا
 في « تحضير » هذه المناطق النائية .. ولا شك ان ابناءه ، حين
 يكبرون سيجدون انفسهم في دولة كبرى تسير حضارة القرن
 العشرين
 فمن يدري ! ان كل شيء محتمل !..

تمت

